حوليات آداب عين شمس المجلد ٤٩ (عدد يناير – مارس ٢٠٢١)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

صورة المرأة في شعر أبي العلاء المعرِّي "دراسة في اللزوميات"

رابعة عبد السلام المجالي*
مها عيد اشتيوي العلاوين**

*قسم اللغة العربية وآدابها- كلية الآداب- جامعة مؤتة- الاردن
D.rabahmajali@hotmail.com
**الأغوار الجنوبية- الكرك- الاردن
mahaalaween@gmail.com

المستخلص

يتناول هذا البحث إحدى القضايا التي ربما أثارت جدلا في مضمار الأدب عن صورة المرأة في لزوميات أبي العلاء المعرِّي، إذ تبرز أهميتها من ناحية أنَّها تجلي رأي أبي العلاء في المرأة بطريقة متكاملة غير متمثلة بجزئية معينة تقتصر على إعطاء حكم كلي لنظرته فيها دون الوقوف على صورها المنفردة التي وردت في أشعاره.

وتهدف هذه الدِّراسة إلى إيضاح رأي الشَّاعر في المرأة بطريقةٍ خاليةٍ من التعسُّف من خلال تحليل الأشعار العديدة التي خصَّت المرأة، وبيَّنت الصُّور التي أتت عليها، رابطين ذلك كلَّه بالجوانب الفكرية من حياة أبي العلاء، متمثلة بالحياة الثقافية ونتاجها الفكري آنذاك، مضافاً إليها قضيتي العزلة، والتشاؤم عنده.

لقد تناولت أشعار أبي العلاء نماذج متعدِّدة، صوَّرت المرأة تارةً بالوظيفة المناطة بها، وأخرى بأحد النُّعوت التي وصفت بها، فالتركيز في هذه الأشعار كان موجَّها للوظيفة أو الصِّفة، مدحاً، أو قدحاً، إعجاباً أو ازدراءً أكثر من كونه يصف جنساً بشرياً من حيث الأنوثة أو الذكورة.

ومن نماذج النِّساء التي تناولتها أشعار أبي العلاء في لزومياته: المرأة حواء، المرأة الأم، المرأة الزوجة، وهنا برزت صورة الزوجة المنجبة، والزوجة العقيمة، والزوجة الضرَّة، والزوجة المتقدِّمة في السن، والزوجة سيئة الخُلق، والزوجة العاملة، ثمَّ حضرت، المرأة الدنيا، ولزوميات الشَّاعر تغص بصور متعدِّدة وصفات متباينة لأصناف النِّساء ربما ضاق بها مجال البحث، وستترك معالجتها في كتاب مستقل مفصل.

الكلمات المفتاحية: المعرِّي، لزوم ما لا يلزم، المرأة، العزلة، التشاوم.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠٢١.

تقدمة:

كما نعلم أنَّ الشِّعر يعدُّ من أبرز الفنون في أدبنا العربي قديماً وحديثاً؛ فهو السجل الذي اعتمد عليه العرب في حفظ تاريخهم وأحداث حياتهم المهمة، فالشعر لم يقف عند غرضٍ واحد ولكنه متعدِّد المواضيع والأغراض.

ولما كانت المرأة تمثِّل نصف المجتمع بصفتها جزءٌ مهمٌ في المجتمع العربي وغيره كان وما يزال لها نصيب كبير في الشعر، فالشعراء العرب ومنذ العصر الجاهلي وحتى اليوم لم يهملوا سيرة المرأة في قصائدهم فهي؛ الأم، أو الزوجة، أو الحبيبة، أو الابنة، أو الأخت، بوصفها ركيزة المجتمع الأساسية.

وفي هذا البحث سيتم دراسة نماذج من صور المرأة عند أحد أعلام الشعر العربي، وهو أبو العلاء المعرِّي؛ لمعرفة رأيه فيها من خلال أشعاره الواردة في ديوانه "لزوم ما لا يلزم"، لذا فقد عنون هذا البحث باسم **"صورة المرأة في شعر أبي العلاء المعرِّي دراسة في اللزوميات"**.

وقد اشتمل على تقدمة تضمَّنت أهمية البحث، ومشكلته، وأهدافه، والأسئلة التي سيحاول الإجابة عنها، إضافة إلى ذكر بعض الدِّراسات السابقة في مجال البحث. وما الجديد الذي امتازت به هذه الدِّراسة عن غيرها من الدراسات السابقة.

كما تضمَّن البحث صوراً ونماذج للمرأة:

أولاً- المرأة حواء.

ثانياً- المرأة الأم.

ثالثاً- المرأة الزوجة، وتتضمن:

أ- الزوجة المنجبة.

ب- الزوجة العقيمة.

ج- الزوجة الضرة.

د- الزوجة المتقدمة في السن.

هـ- الزوجة العاملة.

و- الزوجة سيئة الخُلق.

رابعاً- المرأة الدنياء.

خامساً: الخاتمة: وقد جُعلت للحديث عن أهم النتائج والتوصيات التي خلصت إليها الدِّراسة. ثمَّ قائمة بالمصادر والمراجع وهوامش البحث.

وقد حاولت هذه الدِّراسة الإجابة عن الأسئلة التالية:

١- ما هو أثر فكر أبي العلاء وعزلته وتشاؤمه في نظرته إلى الدنيا والتي رمز لها بالمرأة؟

٢- ما أهم الأشعار التي تضمنها ديوان اللزوميات لبيان صورة المرأة؟

٣- ما هي أهم الصور التي جاءت عليها المرأة في ديوان اللزوميات؟

٤- كيف يمكننا توضيح صورة المرأة ضمن هذه الأشعار؟

٥- ما هي نظرة الشَّاعر تجاه المرأة، وكيف يمكننا أن نحكم على رأيه فيها من خلال هذه النظرة؟

وتستمد هذه الدِّراسة أهميتها تباعاً لأهمية الشَّاعر نفسه وكثرة الآراء التي دارت حوله في كثير من القضايا التي تخص المعتقد والدنيا والآخرة والبعث والنشور والمرأة، وربما إنّ قضية المرأة عند المعرِّي لم تأخذ حقها من البحث والتنقيب، إذ إنَّ الكتب التي درست أبا العلاء وأشعاره لم تعطِ المرأة المساحة الرحبة من البحث بل، كانت تقوم على

وضع المرأة في زاوية من الضيق بمكان يصعب التفصيل ضمنها وتعطي رأي الشّاعر بالمرأة بطريقة فيها شيء من التعميم.

لذا، فقد كان الهدف من هذه الدّراسة توسيع البحث حول رأي الشّاعر في المرأة وعدم الوقوف عند جزئية معينة فيه، وهي الحكم عليه أنه مسيء الظن بالمرأة على وجه الإطلاق كما قال بعض الدارسين.

وقد سارت هذه الدّراسة على منهج الوصف التحليلي، بالإضافة إلى الاعتماد في بعض المواطن على منهج النقد الثقافي الذي يبحث في النص تبعا لثقافة العصر والأنساق المضمرة داخله.

ولعلَّ أبرز المشكلات التي واجهت البحث هي عدم الاتفاق على رأي واحد في الشّاعر نفسه، فقد وصفه بعض الدارسين بالإلحاد، وبعضهم قال بأنّه مؤمن شديد الإيمان، وآخرون قالوا بتأرجحه بأنه بين البينين، وهكذا ....، فالمعرّي كان وما زال إشكالية كبرى في الأدب العربي، ودراسة أشعاره تحتاج إلى تأني ودقة وقراءة متأملة.

وقد استندت الدّراسة إلى قائمة من المصادر والمراجع والدراسات السابقة أهمها كان ديوان لزوم ما لا يلزم لأبي العلاء المعرّي، والذي جاء في مجلدين من تحقيق الدكتور كمال اليازجي، بالإضافة إلى مراجع ومصادر أخرى مثل: كتاب "تجديد ذكرى أبي العلاء" للدكتور زيدان عبد القادر، وكتاب "أبو العلاء المعرّي الشّاعر الحكيم" لعمر فرّوخ وغيرها الكثير.

واطلع البحث على دراسات عدة في هذا الموضوع لباحثين ودارسين، مثل دراسة لطه حسين، إذ قال إنَّ "رأي أبي العلاء المعرّي في المرأة قبيح؛ لأنهُ يسيئ بها الظن في جميع أطوارها، ويرى أن تقطّع الأسباب بينها وبين الحياة العامة، إذ هي لا تصلح منها لشيء"(١).

أما العقاد في دراسته فيضيف: "ولكنه إذا التفت إلى المرأة خاصة عرف أنها الحياة مصغرة في ثوب من الجسد و أنها خلاصة ما في الحياة من الغوايات التي يوصي بالحذر منها والشرور التي يألم لها والغير والصروف التي يزدري الحياة من أجلها ،فيرفضها رفضاً مضاعفاً ويخصها بذم غير مشارك"(٢).

ويزيد في ذلك الدكتور خليل أبو ذياب قائلاً "آراء المعرّي في المرأة تشوبها غلالة صفقية من الحقد والكراهية ترجع على اعتبار المرأة أسّ الشقاء، وسبب البلاء في هذه الدنيا فهو يحقد على المرأة لأنها تعبث بالعقول وتحاول تحطيمها بما تفرضُهُ من إغراء وما تقوم به من إغواء"(٣)، وأضاف الدكتور كمال اليازجي على ما قالوا بقوله "ولا بد لنا من الإشارة إلى أن المعرّي كان سيئ الظن بالمرأة وأن المرأة التي يصفها لا تمثل امرأة العصر بل، طبقة كبيرة من نسائه"(٤).

وما يميز هذه الدّراسة، أنّها ترى أنَّ رأي المعرّي بالمرأة لا يعطى هكذا على وجه الإطلاق، ولكن يجب أن يُعرف أن هناك حالات معينة يرفض فيها الشّاعر المرأة وحالات أخرى يتعاطف فيها معها ويدرس نفسيتها من خلالها ، فالحكم على وجه العموم برأيي فيه شيء من التعسف تجاه موقف المعرّي من المرأة ، وقد أشار نجيب السرور إلى هذا الأمر من خلال قوله: "إنَّ أبا العلاء المعرّي لا يقصد النّساء عموماً ولا المرأة عامة، كما ذهب إلى ذلك القدماء، والمحدثون، والمعاصرون، بل هو يقصد نساءً معيّنة هُنَّ الغواني، وامرأة معينة هي الغانية، والمعروف أنَّ الأغلبية العظمى من الغواني هُنّ من جنس مُعيّن منذ بغايا المعابد وحتى وقتنا الراهن، وفي جميع أنحاء العالم"(٥).

وما يميّز هذا البحث عن غيره أيضاً في تناوله لقضية المرأة عند الشَّاعر بطريقة علَّها تتَّسم بالموضوعية من خلال إيراد الأبيات التي وصفت المرأة في ديوان اللزوميات، ومحاولة تجلية وإيضاح الآراء التعسفية التي قالت بأنَّ المعرِّي سيئ الظن بالمرأة على وجه العموم، والنظر بعمق في التغيُّرات التي طرأت على الشَّاعر بعد رجوعه من بغداد والفترة التاريخية التي وضع فيها هذا الديوان وما رافقها من عزلة وتشاؤم وربما يأس من الدنيا ومحاولة البحث عن وسيلة للتعبير عن هذا كله، ولعلَّ المرأة كانت في كثيرٍ من الأحيان هي الوسيلة المستصاغة لدى الشَّاعر لبيان رأيه في الحياة الدنيا ومصير الإنسان، من خلال إيراد بعض الأشعار الموضِّحة لهذا الهدف، فضلاً عن الكثير منها والذي كان فيه مع المرأة وليس ضدها وتحليلها بطريقة منطقية تتلائم مع فكر الشَّاعر وثقافة عصره.

التمهيد:

إنَّ ديوان الشَّاعر موطن الدِّراسة "اللزوميات" كما أشار الباحثون -الذين درسوا المعرِّي- "وليد عهد العزلة، حيث أخذ المعرِّي نظمه بعد أن عاد من بغداد إلى المعرة على الأشهر"(٦)، فهو بذلك حصيلة نتاج الفكر والحياة والتجربة التي عاشها شاعرنا، وقد أشار الدكتور طه حسين إلى أنَّه لم يكن يتفرَّغ لهذا العمل "إلا أناء الليل وأطراف النهار – في ساعات الأرق وأوقات الخلوة التامة"(٧)؛ أي أنَّه يتبع فيه أوقات صفاء الذِّهن والهدوء التام، لذا نرى أنَّ ما قيل عن المرأة من شعر في اللزوميات يمثِّل نتيجة حتمية لرأيه فيها، فهو الشَّاعر، والباحث، والناقد والفيلسوف، والعالم والقارئ، وأمام تلكم الغزارة والمعرفة لا يمكن الوقوف عند الأبيات وقفة سطحية والاكتفاء منها بالمعنى الظاهر فقط، فهي تحتاج إلى قراءة دقيقة متأمِّلة باحثة في أعماق فلسفة الشَّاعر ورؤيته، فالوقوف عند صورة المرأة في اللزوميات يحتاج إلى الكشف عمَّا يضمره مؤلِّفها من أفكار ورؤى حول المرأة نفسها، فالمعرِّي إنسان يمثِّل نفساً تحمل أهواءً ذات علاقة بفكره ومنطقه، وهذا ما سنعتمد عليه في دراستنا لهذا الموضوع.

فالمرأة عنصر مهم في الحياة بوصفها رمزاً للخصب والعطاء والتكاثر، وقد أشار الباحثون إلى أنَّ العرب قديما "كانوا يعبدون الثريا بوصفها ربة للخصب ومانحة للغيث"(٨).

وأوضحوا أيضاً "الصِّلة الدينية التي أقامها الوثنيون بين المرأة والشَّمس؛ إنَّها الأمومة والخصوبة في عبادة الكواكب"(٩). ممَّا يدلُّ على تلك المكانة التي تحتلها المرأة في التاريخ العربي كونها الخيط الذي يحافظ على امتداد البشر جميعاً، ولكننا في هذا البحث سنقتصر على دراسة صورة المرأة من خلال رؤية أبي العلاء المعرِّي في ديوانه اللزوميات، لذا تمَّت قراءة أشعار الديوان جميعها والأبيات التي قيلت في المرأة كافة، ثمَّ تمَّ تصنيفها إلى الصُّور التي جاءت عليها.

فأولى هذه الصور التي سنتناولها شعراً وتحليلا هي صورة الأم حواء:

أولاً- الأم "حوّاء":

حواء هي أم البشر، ونواة الأمومة على وجه البسيطة، وقد نالت نصيباً لا بأس فيه من أشعار أبي العلاء المعرِّي لهذه الصِّفة والخصوصية، رأينا أن نضعها في جزئية المرأة الأم، وللبحث في هذا الموضوع علينا أن ننظر في الأبيات التي تناولت هذه القضية شعراً وتحليلاً:

ومن ذلك قول شاعرنا(١٠):

فمـــا أذنـــب الـــدهر الـــذي أنـــت لائـــمُ ولكـــن بنـــو حـــواء جـــاروا وأذنبـــوا

وقال مستزيداً(١١):

وإن بنـــي حـــواء زورٌ عـــن الهـــدى ولو ضربوا بالسيف ضرب الغرائب

عندما اختار المعرِّي لفظة "حواء" هنا وفي الأبيات جميعها التي خصَّها فيها لم يكن اختياره لها عشوائياً، ولكنه اختارها بصفتها الأم الأولى للبشر جميعهم، والأساس في إنجابهم وتكاثرهم، وبما أنَّ المعرِّي – كما أشرنا سابقاً - كان ساخطاً على البشر غير راضٍ عنهم فمن الطبيعي أن ينظر لأمّهم التي أنجبتهم نظرة غير محبَّبة، وحديثه هنا كان يختصّ ببني حواء أي أولادها وبناتها، ونقدهُ كان موجَّهاً لهم، فالأبيات التي تناولت هذا الموضوع

كانت تناقش قضايا البشر وما هم عليه، وبالعودة للبيتين السابقين، سنلاحظ مدى حجم النظرة السوداوية التي يراهم بها فهو يرجع أصل الذنب لهم حتى وإن كانوا يضعون اللوم على الدهر، ويؤكّد على أنّهم يأبون الهداية ولو أُجبروا على التزامها كما تجبر الأبل الغريبة على ترك المراعي، فهو لا ينفك عن وضعهم باللوم والحقد والضلال والزور وكثرة الذنوب؛ فهي مَن زرع فيهم هذا كلّه ولن تفارقهم حتى الموت.

ويضيف قائلاً[١٢]:

فأَوْسِعْ بني حوّاءَ هجراً، فإنّهم يسيرون في نَهج من الغدرِ لاحِبِ

فهم لا يقفون عند حدود الصِّفات السابقة من زورٍ ولؤمٍ وغيرها، ولكنهم يجعلونها منهجاً لهم في حياتهم يسيرون عليه، ويضيفون عليها الغدر الذي يوسع لهم طريق الظلم والضلال، وعليه فإنَّ المعرِّي ينصح المتلقي بأن يبتعد عن البشر ويعتزلهم لأنهم سبب مصائب الحياة جميعها.

ويقول[١٣]:

كأنَّ حوّاء التي زوجها آدم لم تلقح بشخصٍ أريب

فهو يرى أنَّ آدم وحواء لو تفكّرا قليلاً لما تركا نسلاً يُعَمِّرُ هذه الحياة ويعاني مصائبها ومشاقها، وهذا من باب آخر وهي نظرة أبي العلاء المعرِّي للدنيا، وهي كما عرفنا مليئة بالتشاؤم والكراهية - كما رآها- فهو يُحمِّل كُلاً من آدم وحواء مسؤولية الإتيان بالبشر إلى هذه الأرض التي لن يستفيدوا منها شيئاً، إلا أنّهم بعد أن يعانوا مصائبها ونكباتها سيدفنون تحتها فما يملأهم من بُغض وسوء ما هو إلا نتيجة ذلك الخطأ الذي ارتكبه والِداهِم اللّذان جعلوهم يعانون فواجع الأيام وحوادثها.

ثمَّ إن المعرِّي يعود بعد ذلك ليوسع النظرة ويخفّف قليلاً من حدة الحكم الذي أصدرهُ على بني حواء وهُو أنه رأى أن منهم البرّ ومنهم الفاجر، من خلال قوله[١٤]:

كذاك بنو حوّاء بَرٌّ وفاجرٌ ولا بدَّ للأيام من هفوات

ولعلَّ ذلك يعود إلى أنَّهُ قد يضع اللّوم كُلَّهُ على الدنيا التي قد تفتك ببعض البشر الذين لم يستطيعوا تَحَمُّلَ ما وقعَ عليهم من مصائب فيتسلل الشر إلى داخلهم رغبةً في التقليل من شعور اليأس والهزيمة.

فالمعرِّي يرى أنَّ أصل البلاء آدم وحواء؛ وذلك لأنَّهم قاموا بإنجاب السلالة البشرية، فلو حرّم آدم على نفسه الزواج أو طلّقَ حوّاء قبل أن تحمل منهُ، أو أن تكون قد حُرِّمت عليه "ظهار" كأنَّها بمنزلة أخته أو ابنته، فانقرض جنس البشر لكان هذا أفضل حلٍّ يمكن أن يريح الكثير من عناد الدنيا وشقائها؛ لذلك فهو يقول[١٥]:

يا ليت آدم كان طلّق أمهم أو كان حَرَّمها عليه ظهارُ

وقبل أن نُنهي موضوع الأم حوّاء، لا بدَّ من الإشارة إلى أنّ صورتها عند الشَّاعر كانت تمثّل صورة غير محببة؛ وذلك لأنها كما يرى هي التي تسبَّبت في ولادة هؤلاء البشر جميعاً، فهي أمّهم الأولى، وهي السبب في مجيئهم إلى الدنيا بالتعاون مع والدهم آدم؛ لذلك فالإثم يلتصق بها بالدرجة الأولى، فما يحملهُ الشَّاعر اتجاهها في الأبيات التي ناقشت قضيتها كلّها، هو أمرٌ واحدٌ يتمثّل في سخطه على أولادها الذين يحملون صفات السُّوء في جميع جوانب حياتهم.

لذلك فهو يقول[١٦]:

بنـــي حـــوّاء كيـــف الأمـــن مـــنكم ولـــم يؤهـــل بغيـــر الحقـــد روعُ

ويقول أيضاً[١٧]:

فليـــتَ حـــوّاء عَقـــيمٌ غَـــدَتْ لا تَلِـــدُ النـــاس ولا تَحْبَـــلُ
وليـــت شـــيثاً أو أبانـــا الـــذي جـــاء بنـــا اهلكـــهُ المهبـــلُ

ثانياً- المرأة الأم:

لقد أشار الدَّارسون إلى أنَّ أحد الأسباب التي دفعت أبا العلاء المعرِّي للعودة إلى المعرّة مرض أمه "حيث توصَّلوا إلى ذلك من خلال قصيدة وجَّهها أبو العلاء إلى أبي القاسم التنوخي، وقال فيها"[١٨]:

أثـــارني عـــنكُمُ أمـــران: والـــدةٌ لـم ألْقَهـا وثـراءٌ عـاد مسـفوتا[١٩]

وأضافوا أيضاً أنَّ "أمهُ كانت تعطف عليه عطفاً شديداً وقد بلغهُ نعيها وهو في بغداد فيما كان متَّجهاً إلى المعرّة، وكانت وفاتها سنة (٤٠٠ هـ)، "وكان وقع المصيبة شديداً جداً على نفسه"[٢٠]، ولهذا لا يمكن أن يخلو ديوان اللزوميات من أبيات عديدة تتناول هذا الموضوع، وهو موضوع المرأة الأم، كذلك رأينا أن نأخذ جزئية معيَّنة من البحث تعطي فكرة عن هذا الموضوع شعراً وتحليلاً، ومن ذلك قول المعرِّي[٢١]:

وشَخْصِـي وَرُوحـي مِثْـلُ طفـلٍ وأُمِّـهِ لتلـكَ بهـذا مِـنْ يَـد الـرَّب عاقِـدُ
يموتـــان مِثْـــلُ النـــاظرين تـــواردا فـــلا هـــو مفقـــودٌ ولا هـــي فاقـــدُ

أراد الشَّاعر في هذين البيتين أن يصوِّر شدّة العلاقة التي تجمع بين الجسد والروح عن طريق تشبيهها بالعلاقة بين الأم والطفل؛ فهو يعرف مسبقاً مدى تظافرها وتلاحمها وترابطها المتين الذي يشكّل ديمومة موحَّدة، فما بينهما من أواصر المودَّة والرَّحمة هو تشريع من رب العالمين يؤكد على عمق هذه التبعية، فكلٌّ منهما بحاجة للآخر؛ لأنَّ الرابط بينهما يختلف عن أي علاقة أخرى ممثلة في الوجود، وكذلك الجسد والروح، فالشَّاعر هنا يعيش في مجتمعه ويشعر بالاغتراب عنهُ، فهو يرى أنَّ أكبر علاقة ممكن أن تجمعه في هذه الحياة التي يوجد فيها هي علاقته بروحه، فهي من يفهم ما بداخله ويساعدهُ على الاندماج في وحدته التي اختار عند موت، فإنها تموت تواردا مع الجسد، فلا يشعر أحدهما بفراق الآخر، وكذلك الأم والطفل، إذا فقد أحدهما الآخر، فإنَّ كثيراً من المشاعر ستموت بعدهُ، فما يربط بينهما رباطٌ متكامل لا يمكن لهُ أن ينقطع بهذه السهولة.

ويقول المعرِّي في هذا الموضوع[٢٢]:

أهـــال مـــن الثـــرى والأرض أمٌ وأمـــك حجرهـــا نِعْـــمَ المَهَـــادُ

فالشَّاعر هنا في تناوله لهذا البيت يتحدَّث عن قضية الموت، حيث إنه يقول أهال من الثرى: أي يصيبني الهول منه وذلك فيما يتعلق بقضية الدفن؛ لأنَّ الإنسان بعد الموت مكانه الطبيعي يكون في الأرض وتحت الثرى، ثمَّ يأتي بثنائية ضدية في البيت نفسه يستخدمها عزاءً لنفسه بأن يشبِّه الأرض بالأم، وهو يقول: "والأرضُ أمٌّ"، فهو يعرف مسبقاً أنَّ الأم هي أفضل من يحتضن طفلها لذلك يستخدم لها أسلوب المدح "نِعمَ"، فعندما أراد الشَّاعر أن يقلّل من خوفهِ الكامن تجاه قضية الموت وما يتبعها من دفن، استعان بصورة

الأم ليقلّص من حجم القلق الذي يعتريه اتجاهها؛ وذلك لأنَّه على يقين بأنَّ الأم هي صورة تمثّل الفرح والأمان والطمأنينة في كلِّ وقتٍ وكلِّ حالةٍ.

ويقول الشَّاعر أيضاً[٢٣]:

حيـــران أنـــت فـــأيُّ النـــاس تتَّبـــعُ تجـري الحظـوظ، وكـلُّ جاهـل طَبَـعُ
والأمُّ بالسـدس عـادت وهـي اشـفق منـه بنتٍ لهـا النصـف أو عرسٍ لهـا الرُبـعُ

يوضّح الشَّاعر هنا مدى اختلاف الناس في آرائهم، فهم جاهلون وأنت لا تدري (يعني نفسه) من منهم تتبع، ومثال ذلك: أنَّ حصة الأم من الإرث السُّدس، وحصة البنت النصف، وحصة الزوجة الرُّبع، فالأم هي الأقل نصيباً فيهنَّ وذلك فيه ظلم للأم؛ لأنَّها هي التي عانت أكثر من البنت والكِنَّة في الخدمة والتربية، وذلك من باب إشفاق الشَّاعر على الأم والرَّحمة بها.

ويستأنف الشَّاعر حديثه عن الأم قائلاً[٢٤]:

وأعْـــطِ أبـــاك النّصـــفَ حيـــاً وميتـــاً وفضِّـــل عليـــه فـــي كرامتـــه الأمَّـــا
أقلـــــكَ خفـــــاً، إذ أقلتـــــكَ مُـــــثقِلاً، وأرضـــعت لحـــولين واحتملـــت تمّـــا
وألقتـــك عَـــنْ جُهْـــدٍ، وألقـــاك لـــذةً، وضـمَّت وشمَّت مثل ما ضمَّ أو شمَّا

تكشف هذه الأبيات عن مدى إدراك وتقدير الشَّاعر لدور الأم في المجتمع وما تعانيه من تعب ومشقة عند الحمل والولادة وما بعدهما، وذلك من خلال وضع دورها في مقابلة مع دور الأب وما يقوم به، فالمعرِّي هنا ينصح المتلقي ويدعوه لتقديم الحب والاحترام لوالده، سواء كان حياً أم ميتاً، ولكنه يجب أن يكون أكثر إكراماً لأمه؛ وذلك لأن دورها إذا ما قورن مع دور الأب لرجحت كفته، فهي تتحمل مشاق الوضع وآلامه، وترضع طفلها مدة عامين كاملين، وتقوم برعايته رعاية تامة حتى يشب ويكبر، ولكن الأب لا يرى طفله ويحملهُ إلا وهو ضعيف؛ أي لا يشعر بمدى ثقله عندما كان في أحشاء أمهِ، ولا يشعر بمدى الجهد الذي عانته عند وضعه، ومع ذلك فهما يتساويان في شم الطفل وضمه عند ولادته.

ويؤكد على هذا المعنى من خلال قوله[٢٥]:

العـــيش مـــاضٍ فـــأكرم والـــديكَ بـــه والأمُّ أولـــى بـــإكرامٍ وإحســـانِ
وحســـبَها الحمـــلَ والإرضـــاع تدمنَـــهُ أمـــران بالفضـــل نـــالا كُـــلّ إنســـان

ففي هذين البيتين يرسِّخ الشَّاعر القول السابق: وهو أولوية الأم بالتكريم والإحسان، ففضلها من حيث الحمل والإرضاع يشمل الناس جميعهم، ولحُب الشَّاعر للأم وتقديره لها سيهب في هذا الموضوع قائلاً[٢٦]:

أحاضـــنة الغـــلام ضـــممتِ منـــهُ أذاك فأرضـــــعي حنشـــــاً وضُـــــمِّي
فلـــو دفقـــتِ لـــم تســـقي جنينـــاً، ولـــم تضـــعي الوَليـــدَ، ولـــم تُهَمِّـــي
لهـــانَ علـــى أقاربـــك الأوانـــى قيامُـــكِ عـــن خـــديج غَيـــرَ تَـــمِّ

ففي هذه الأبيات نعود إلى وجهة نظر خاصةٍ بأبي العلاء المعرِّي، وهي أنَّهُ كان يرى أنَّ النَّسل لا يُجنى منه سوى العقوق، فلا فائدة تُرجى ولا فضلٌ يعود، لذا فالخطاب هنا مُوجّه لحاضنة الغلام، أي أمّهُ، فهي كما يرى الشَّاعر عندما تضم ابنها إليها كأنَّها تضُم الأذى بيديها لأنه يشبه تماماً الأفعى، فهي لن تستفيد منه شيئاً إلا ذاك السُّم الذي سيضيقه إياها عندما يكبر، ولو أنَّها كانت موفَّقة لما حملت به ولا أنجبته من الأصل، وإن حدثَ

وحمَلت بهِ فمن التوفيق لها أن يأتي الطفلُ ناقصاً غيرَ مُكتَمِلٍ فيموت ويكفيها وأهل بيتها عناء رعايته وتربيته، فرؤية الشَّاعر هذه ناتجة عن أمور سبق لنا الحديث عنها وتكرارها في بعض الأبيات، ما هو إلّا حرصاً منهُ عليها وتأكيداً على ضرورتها ووجوب الأخذ بها، فهو هنا في هذه الأبيات يستخدمُ ألفاظاً يريد من خلالها أن يبيِّن للأم مدى التعب الذي ستجنيه من وراء حملها وإنجابها ورعايتها لأطفالها مثل: (الاحتضان، الضَّم، الرِّضاعة، السّقاية، الوضع، الهمّ) فكلُّ هذه الأمور ترهقها وتجلب لها التعب والمشقة، لذا عليها أن تعيش الحياة دون أطفال حتى تتمكَّن من الوصول إلى راحة البال والقلب؛ لأنَّهم نقمة في هذه الحياة عليها بالدرجة الأولى، فهي أكثر شخص قد يتضرَّر من إنجابهم وتربيتهم ولن تجني منهم فائدة، فهم بعد أن يصلوا إلى سن الشباب سيكون جزاؤها منهم لا يتَّفق وتعب وعناء الأمومة، وكأنّي بالشَّاعر هنا يؤكّد على هذه العقوبة الموجَّهة للأم لقاء وصفها أماً ليشعرها بالنَّدم وعدم الاستمرار في الإنجاب وإمداد الحياة بالنَّسل، وهذا المنحى لدى الشَّاعر حتماً نابع من فكره الذي يحمل ومن تشاؤمه ونقمته على الحياة بتفاصيلها وسننها.

وللتأكيد على المعنى السابق يأتي الشَّاعر بهذين البيتين فيقول[٢٧]:

وليتَ وليداً ماتَ ساعة وَضْعِهِ ... فلم يَرْتَضِع من أمِّهِ النُّفساءِ
يقولُ لها من قبل نطق لسانه ... تفيدينَ بي أن تنكبي وتسائي

فهو يتمنَّى موت الطفل ساعة وضعه حتى لا يجلب لأمه الأسى والعناء، وذلك من باب سخطه على الحياة، فهو يؤمن أنَّها فانية لا ديمومة فيها ولا راحة، فالطفل عندما يأتيها سيذوق مرارتها وظلمها، ولن يطيبَ له العيش فيها وعاقبة ذلك هو شقاء أمهِ وألمها، وهذا بسبب عاطفة الأمومة المسيطرة على قلبها؛ لأنَّ ما يضرُّ ابنها حتما سيضرُّها.

ويؤكّد هذا العطف في حديثه عن عطف الأم ورحمتها حينما يربط بين عطف الأم والحمامة، فالرابط بينهما هو عاطفة الرحمة والخوف والحب، فكلٌّ منهما تريد الحفاظ على أطفالها بما تقدمهُ من الغذاء، والحبّ والرِّحمة.

ثالثاً- المرأة الزوجة:

فقبل البدء بالحديث عن هذا النموذج، لا بدَّ من الإشارة إلى أن شاعرنا لم تكن في حياته امرأة زوجة ودليل ذلك قوله[٢٨]:

تواصل حبل النسل ما بين آدم وبيني ... فلم توصل بلامي باء

فهو يشير إلى أنَّ حبل النَّسل الذي يربط بينه وبين آدم انقطع من جهته؛ لأنَّه لم يجعل أحداً يتصلبه، وهذا أمر متَّفق عليه في تاريخ الأدب العربي، ولكن عدم وجود زوجة في حياة المعرِّي لا ينفي عدم إيراده شعراً للزوجة في اللزوميات، وعلى صورٍ ، فهو يخاطب المرأة الزوجة بالعديد من الأبيات في الديوان، وبالعديد من الصِّفات، وقد كانت أولى الصّور التي جاءت عليها:

أ- الزوجة المنجبة:

قال فيها[٢٩]:

دنا رجلٌ إلى عرسٍ لأمرٍ ... وذاك لثالث خلق اكتسابُ
فما زالت تعاني الثقل حتى ... اتاها الوضع واتصال الحسابُ
تُرَدُّ إلى الأصول وكلُّ حيٍّ ... لهُ في الأربع القِدمِ انتسابُ؟

هنا في هذه الأبيات صورة للزوجة المنجبة التي تحمل في أحشائها طفلها مدة من الزمن حتى يأتيها ألم الولادة، وتقوم بالوضع، وتستمر بعد ذلك مسيرة العذاب والشقاء من تربية ومسؤولية وإنفاق وقلق وخوف، حتى تنتهي الحياة ويعود كلُّ كائن حيٍّ إلى الأصل الذي خُلق منه، هذا في المعنى الظاهر الكلي للأبيات، ولكن الشَّاعر هنا يستخدم لفظتي "دنا"، و "ذاك" ليورد من خلالهما نسقاً يرفض من خلاله الإنجاب في الأصل، فلفظة "دنا" توحي بشيءٍ من الاقتراب الهادئ، بينما لفظة "ذاك" تدلُّ على الإشارة للبعيد، فهو كأنَّه يستخدم الكلمة والنقيض ليحاول تحذير المتزوِّجين والمقبلين على الزواج من النَّسل أو البحث عنهُ، فأنت أيها المتزوج تلامس زوجتك رغبة في إشباع غرائز معينة، ولا المعاناة التي لا تتوقف حتى بعد الإنجاب فمسيرة العذاب متواصلة، والولادة تعرف أن هذا الأمر سينتج عنه كائن ثالث، يبدأ التكوّن في رحم أمه ويجلب لها نقمة على الزوجة أولا ثم على الزوج ثانياً، وكأن الشَّاعر يريد إخافة الرجل والمرأة من الإقدام على خطوة الإنجاب، ويأتي بعد ذلك بالبيت الثالث ليعزّز من خلاله المعنى السَّابق، فهو رجل مؤمن بأنَّ المخلوقات جميعها لن تُخلد ولها مصير واحد هو الموت، فلماذا يسعى الإنسان إلى الإنجاب ويبحث عنه طالما نهاية الخلق معروفة؟

فكل الكائنات ستزول وتختفي عن هذه الأرض ولن يبقى أحد، فالزوجان عليهما أن يتَّفقا على عدم الإنجاب؛ لأنَّه مشقة وتعب للمرأة، ولن يقدم لها شيئاً، بل على العكس سيزيد من آلامها وشقائها، وفي النهاية لن تخلد هي ولا أطفالها. فالشَّاعر هنا يربط بين ثلاث قضايا متداخلة هي:

- الزواج وما ينتج عنه من علاقة حميمة بين رجلٍ وامرأةٍ.
- العلاقة الحميمة وما تنتجهُ من أطفال.
- النهاية المؤكَّدة للرجل والمرأة والأطفال هي "الموت" الذي لا مفرَّ منه.

وعليه، فإنَّ المعرِّي هنا يتبع أسلوب الترهيب ليرشد الإنسان إلى مفهوم التوحُّد بالنفس، فكما خُلِقت وحيداً فلماذا تخلف بعدك من يبكيك ويحزن لفراقك وأنت تعرف أن لا أحد سيُخَلَّد. ويستمر الشَّاعر في حديثه حول الزوجة المنجبة فيقول(٣٠):

أرى حَبَلاً حادثاً في النِّساء حَبْلٌ أذاة بهنَّ اتصَلْ
أتى وَلَدٌ بسجل العناء فليت وارده ما وَصَلْ

إذا نظرنا إلى الحكم العام الذي أصدره الشَّاعر في هذه الأبيات تجاه حمل المرأة ووضعها، نلحظ أنَّ مختصر الحديث يدور حول رفضه للحمل والإنجاب وعدم الدعوة إليهما، وهذا الأمر جاد به المعرِّي، من خلال استخدامه للفظة (حَبَل)، ولفظة (حَبْلٍ) المضافة إلى كلمة "أذاةٍ"، فالمتعارف عليه أن الحَبْلَ رمز للتَّواصل والاستمرار، ولكنَّ الإضافة هنا خصَّصَت هذا التواصلَ بأنّهُ تواصلٌ مؤذٍ، وبما أنَّ حَبَلَ المرأة هنا مرتبط بحبْل الأذى، فإن الاستمرار في الإنجاب سبيلٌ في التكاثر غير المفيد، وما يؤيِّد هذا الرأي قول الشَّاعر في البيت الثاني، فهو يصرِّح من خلاله أنَّ مجيء الطفل مرتبط بالعناء، فلا فَرَحَ ولا سَرورَ أمامهُ، فهذه الدنيا جُبلت على التَّعب والشَّقاء، وهذا يعود إلى النظرة التشاؤمية للحياة كما يراها الشَّاعر. وهنا وفي نظرة الشَّاعر للمرأة المنجبة وغيرها من أصناف النِّساء، يمكن الحكم عليه بأنَّه في إطلاقه لهذه الأحكام ليس واقعياً ولا محايداً، ويلح في إلزام بني البشر بما يراه هو، أو بما يتصوَّره هو نتيجة عقد وأفكار سيطرت عليه ووجهت بوصلة سيره.

من بعد هذه الوقفة التي تناولت صورة الزوجة المنجبة من وجهة نظر المعرِّي، يبدو أنَّ نتائج قراءة هذا الموضوع كما وردت شعراً في اللزوميات، هي على النحو التالي:

الزوجة المنجبة بالنسبة للشاعر هي الوجه الآخر للحياة واستمرارها بسبب الإنجاب، وبما أنَّ المعرِّي كان ناقماً على الحياة وساخطاً عليها، فهو بالتأكيد يرفض الإنجاب، ويشجِّع المرأة المتزوجة على عدمه، فهو إذاً ليس ضد المرأة؛ لأنَّها مرأة، أنَّما هو ضد الإنجاب الذي تناط به المرأة، وهذا ما يشكِّل لديه الفكرة المقيتة والمخيفة المرعبة.

والزوجة المنجبة حالة تمثِّل مفهوم الصَّبر في أرقى صوره وأجلَّها، وتعكس من خلاله قوتها في تحمل الألم والأذى، فالولادة ليست بالأمر الهيِّن، وما يأتي بعدها من سهرٍ وشقاءٍ لن يضع الزوجة المنجبة إلاّ في خانَة العذاب والمعاناة(٣١).

إنَّ نَقمة المعرِّي على النَّسل أمرٌ مرتبطٌ بفكرهِ وعلاقته بالحياة وطريقة تعاطيه مع جوانبها المختلفة ليس لهُ علاقة بسلبية معينة يحملها الشَّاعر تجاه الزوجة المنجبة نفسها، فهي بإنجابها للأطفال ترتكب إثماً كبيراً يتمثل في تحقيق معنى التكاثر.

ب- الزوجة العقيم:

العقيم هي الضد والنقيض للمنجبة، فالأولى تحمل معنى، العدم والثانية تعكس صورة الخصب والعطاء في المفهوم العام لكل منهما، ولكن زاوية الدِّراسة التي نعالجها لهتين الصورتين تأتي من خلال رؤية وفلسفة المعرِّي لهما، فالزوجة المنجبة قضية بُحثت في الصفحات السابقة شعراً وتحليلاً، وهنا سيتم البحث في النقيض لها، وهو صورة الزوجة العقيم، ولمناقشة هذا علينا أن ننظر في قول المعرِّي(٣٢):

قد ساءها العقم لا ضمت ولا ولدت وذاك خيرٌ لها لو أعطيت رشدا

ويزيد في هذا قائلا(٣٣):

خيرُ النِّساء اللواتي ما ولدن لكم فإن ولدن فخير النَّسل ما نفعا

يستخدم المعرِّي في البيت الأول الدعاء بقوله – لا ضمَّت ولا ولدت؛ ليعبِّر من خلاله عن عمق الشُّعور بسذاجة الزوجة العقيم التي تشعر بالاستياء من عدم الإنجاب، فلو تفكرت قليلا لوجدت أن عقمها فضيلة كبرى لها في هذه الحياة، وذلك تبعاً لبحث المعرِّي عن فكرة معينة يريد ترسيخها من خلال التشجيع على الزواج بالعقيم، ففي البيت الثاني نرى أنه يستخدم الدلالة المعنوية بالتفضيل من خلال لفظة "خير" المضافة لها كلمة "النِّساء" ليؤكد ويخصَّص أنَّ المفاضلة بين النِّساء تتم عن طريق العقم، فالمرأة التي لا تنجب هي المرأة المفيدة الفاضلة؛ وذلك لأنَّ النسل لا فائدة منه، فالعقم فضيلة تجحدها العقيلة.

ولكن ما يمكن قوله، هو أنَّ المعرِّي لم يُفضل العقم ويحض عليه بهذه الطريقة دون مبرِّر، فالحكم تمَّ لكن اعتباطياً، ولكنه نتيجة تراكمات معينة جعلت الشَّاعر يفكر في العقم ويدعو إليه على هذا النحو، ومن ذلك أنه:

قد يرى أنَّ الإنسان عندما يكون مسؤولاً عن نفسه فقط، أهون عليه بكثير من أن يكون مسؤولاً عن نفسه ونفس أخرى معه، بمعنى أنَّ الإنجاب يجعله يتحمَّل مسؤولية أشخاص آخرين يقعون في عاتقه سواءً أكانوا أناساً خيرين أم غير ذلك فالعقم للمرأة فضيلة لها ولزوجها لأنه يريحهم من عناء تحمل المسؤولية والسهر والتعب والتربية وغير ذلك من أمور فيها مشقة على الطرفين، بالإضافة إلى أنهم إذا أصيبوا بمرض ما وشعروا باقتراب

الأجل ،سيكونون قلقين على من تركوا وراءهم ويبدأون بالتوصية والتشديد عليها، فلماذا كل هذا العناء والتعب من الأصل؟ ضارباً صفحاً عن الفطرة الآدمية وتلك الغريزة المقدسة في حب الولد والذرية التي استعاذ بالله من فقدها أقرب الخلق لله وهم الأنبياء (كَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ) (٣٤).

ويمكن القول إنَّ المعرِّي هنا ممتلئ بالقلق من فكرة الوجود والمصير المجهول فيه، والنهاية التي سيؤول إليها الإنسان بعد الموت، فالعُقم بذلك سبيلٌ إلى عدم هذا القلق؛ لأنَّه هو الذي يوقف التكاثر، وبالتالي يوقف الحياة، فصورة المرأة العقيم كانت عند المعرِّي صورة تمثِّل المرأة الخيِّرة التي لم تكن سبباً في تعاسة أحد وشقائه.

بالتأكيد أنَّ المعرِّي يعرف أن غريزة الأمومة هي الدافع الرئيس وراء بحث المرأة العقيم عن الإنجاب لأنها في بحثها عنه تريد أن تشبع غريزتها وتقضي على فكرة العدم، لأنَّ الإنجاب في المجتمعات العربية هو السبب الرئيس لمفهوم القبيلة وتأكيدها، والمرأة العقيم هي بالنسبة لهم كالشجرة التي لا تثمر، فالعاطفة هي أهم الأسباب التي تدعو المرأة لرفض فكرة العقم. لكن المعرِّي بصفته رجل يصف نفسه بالعقلانية، يرى أنَّ العاطفة يجب أن تبتعد عن ذهن المرأة العقيم لكي تتمكن من العيش باستقرار، - تبعاً لرؤيته وإيمانه الناتج عمَّا أسلفنا من أفكار- فالمرأة العقيم في نعمة كبيرة لا تعرف عنها وعن عظمتها، فالعقم جعلها امرأة فاضلة في هذا الكون الواسع.

إنَّ الشَّاعر يرى أنَّ البشر جبلوا على الحقد والظلم والكره وعدم العدل والتعصب الذي لا فائدة منه، وإنجابهم إلى هذه الحياة لا يزيد إلا من طغيانهم وتجبُّرهم، فالقلة القليلة منهم هي عكس ذلك؛ لذا فعدم مجيئهم إلى الدنيا فضلٌ كبيرٌ وفائدة عظمى علينا أن نحمد الله عليها.

ويقول مستمراً في موضوع الزوجة العقيم(٣٥):

قـــد بكـــرت لا يعوقهـــا سَـــبَلْ كمُهـرةِ الـرّوض مِـنْ بنـات سَـبَلْ؟
إلـــى طبيـــبٍ علـــى الطريـــق لِكـــي تأخـــذ مـــن عنـــده دواء حَبَـــلْ
كـــم قُـــذِفت غِـــرسُ بـــائسٍ بحصـــى كـــلُّ حَصَـــاةٍ منهـــا نظيـــر حَبَـــلْ

نرى هنا أنَّ الشَّاعر يقوم بتصوير المرأة العقيم التي تبحث عن الإنجاب بالخيل الكريمة التي لا تعوقها الأمطار مهما كانت شدة هطولها، فما يسيطر على تفكيرها، هي فكرة الإنجاب، وكيفية التخلص من العقم بصفته داءً مميتاً لمشاعر المرأة ومتعباً لنفسها، فصورة البحث المستمر الذي لا يعوقه شيء يخلق للمرأة معادلاً موضوعياً للرضا بالقضاء والقدر، فهو يشعرها بعدم الخضوع لما أصابها، فهي تبحث دون كللٍ أو مللٍ متأملة بأن الله يوماً ما سيجعلها أماً ومربية.

فالعقم في نظر المعرِّي نعمة للمرأة، وفي نظرها نقمة عليها وهذا ما دفع بالشَّاعر الابتعاد عن الزواج، فهو لا يريد أن ينجب ويأتي بأطفال يذوقون مرارة الحياة والعيش فيها. فهو يقول(٣٦):

إذا شِـــئْتَ يومـــاً وَصْـــلةً بَقَرينـــةٍ فَخيـــرُ نســـاءِ العَـــالمين عَقيْمُهـــا

ففي هذه الأبيات، أرى أنَّ الشَّاعر من خلال إيراده للفظة "يوماً" هكذا، وبصفة التنكير لا يحبِّذ على الزواج نفسه، فهو يستخدم النكرة ليدل على العموم؛ أي أنَّ هذا اليوم ليس مقترن بسن معين للرجل يقدم فيه على الزواج، فهو يرفض فكرة الزواج أولاً، ثمَّ يرفض فكرة الإنجاب ثانياً، وإنْ كان لا بدَّ من الزواج فيجب الزواج بالعقيم، فهي أفضل

النّساء، أنها تريح الرجل من الإتيان بطفل يسبب له الشقاء في هذه الدنيا ويساعد في استمرار الحياة وبنائها.

ففكرة العقم عند الشّاعر أمرٌ مرتبطٌ بالفضيلة والخير، وهذا أمرٌ خارجٌ عن المألوف، فكلنا يعرف أنَّ العقم يعني الجدب والقحط وعدم الخصب والعطاء، ولكنَّه عند المعرّي غير ذلك كلّه، فهل العقم الذي يراه الشّاعر هو فقط مختصر على عدم الإنجاب؟ برأيي أنَّ الشّاعر يخلق من خلال هذا الأمر بُعداً يرمز من خلاله إلى ما يُعرف بالغرويّة والتحرُّر. خوفاً من المستقبل الذي لا يُعْرَف له وجه، فالظلم يأخذ بالرّقاب ويمحو بداخل كُلَّ أملٍ مرجو، فلا فائدة من التطلّع إلى الغد؛ لأنَّه ليس فيه ما هو أفضل من اليوم فما يُبنى اليوم يُهدم غداً، وهذا تبعاً لذاتية معينة يعيشها الشّاعر ويسيطر من خلالها على أفكاره وفلسفته؛ لذا كان لزاماً على من يحمل هذه التطلُّعات معرفة أنَّ الزوجة العقيم هي أفضل النّساء جميعاً، فهي ترسِّخ في المجتمعات مفهوم التوحُّد، وهذا ما كان يدعو إليه شاعرنا. فهو القائل[٣٧]:

أرى النّسْـــلَ ذنبـــاً للفتـــى لا يقالـــه ... فـــلا تـــنكحنَّ الـــدَّهر غَيْـــرَ عَقِـــيم
فحـــالُ وحيـــدٍ لـــم يُخلّـــفْ مناسِـــباً ... تشـــابه حَـــالي عـــامرٍ وتمـــيمٍ

فالرجل الذي لم يخلّف نسلاً يخلو بانفراده من المتاعب، فحالهُ حال الموفور والكريم الخُلق من الرِّجال.

ج- الزوجة المتقدمة في السن (العجوز):

نستكمل حديثنا حول المرأة الزوجة بتناول صورة أخرى لها، وهي الزوجة المتقدمة في السن، حيث لوحظ أنَّ المعرِّي تطرَّق إلى هذا الموضوع بشكلٍ موسَّع في ثنايا صفحات ديوانه اللزوميات، لذا كان لزاماً على البحث أن يقف عند بعض الأبيات التي ناقشت هذا الموضوع شعراً وتحليلاً.

ففي هذا يقول[٣٨]:

إذا كانـــت لـــك امـــرأةٌ عجـــوزٌ ... فـــلا تأخـــذ بـــدلاً كَعابـــا
فـــإن كانـــت أقـــلَّ بهـــاءَ وجْـــهٍ ... فأجـــدر أن تكـــون أقـــل عابـــا
وحســـنُ الشـــمس فـــي الأيـــام بـــاقٍ ... وإن مجّـــت مـــن الكبـــر اللُّعابـــا

للوهلة الأولى قد يتوارد لذهن القارئ أنَّ المعرِّي يشير إلى أنَّ المرأة العجوز أقلُّ عيباً من الفتاة النّاهد الصغيرة في السن، التي دلّت عليها لفظة "كَعابا"، فهي بسبب صغرها واهوا نفسها وجمالها قد تقع في العيب والزلل، فما أن تتقدَّم بها السنوات وتكبر في العمر حتى تصبح أكثر نضجاً وتفكيراً وبواقعية في الحياة، وهذا في المعنى الظاهر للأبيات، ولكن، ما قد يدور في فكر الشّاعر أعمق من ذلك كلّه، فهو هنا يوجِّه حديثه للرجل الكبير في السن الذي يرغب بالزواج من شابة صغيرة في العمر فينصحهُ بأنْ يبقى مع زوجته العجوز، ولا يقدم على الزواج من الصغيرة، حتى وإنْ كانت زوجته العجوز أقل جمالاً وبهجة؛ وذلك لأنَّ الصغيرة قد تشعر بالظلم عند زواجها من كهلٍ مسنٍّ، فهي مقبلة على الحياة محبة لها، وهو رجلٌ كبير في العمر قد لا يحقّق لها ما تريده؛ لأنه مقتصر في تفكيره على أمور معينة في الحياة، وفكره يختلف تماماً عن فكرها، فالمعرِّي هنا يظهر بصورة الشخص الداعم للمرأة المتعاطف معها، وكأنهُ قارئ وعارف بتفاصيل نفسيَّتها، وذلك من باب الرأفة والرحمة بها، فهو يؤكّد على هذا المعنى من خلال قوله[٣٩]:

إذا خَطَبَ الزّهراءَ كَهْلٌ وناشيءٌ فإنَّ الصِّبا فيها شفيعٌ مُشفَّعُ؟
ولا يزْهِدنْها عُدمُهُ إنَّ مُدَّهُ لأبرك من صاع الكبير وأنفَعُ؟
وما لأخي ستين قدْرَهُ سائرٍ إليها ولكن عجزهُ ليس يُدفَعُ
ويُخفِضُ في كل المواطن ذمَّهُ وإن كان يُدنَى في المَحلِّ ويُرْفَع

فإذا ما تقدَّم لخطبة الفتاة الصغيرة شابٌ وكهلٌ، فإنَّها ستوافق على الشاب وتقدِّمه على الكهل، حتى ولو كان الكهل غنياً مترفاً والشاب فقيراً معدماً، فإنَّ الكهل كبره وعجزه لا يرغبان الفتاة الشابة فيه، فهي تريد رجلاً يقاربها العمر تشعر معه بحلاوة العيش ورغده، لا تريد كهلاً عاجزاً لا يستطيع السير إليها وإسعادها مما قد يدفعها للقيام بالأمور المخلة أو المعيبة، فنظرة المعرِّي هنا نظرة مستقبلية لما قد يحصل للفتاة إذا تزوجت من كهل، وهذا حرصاً منه عليها وليس خوفاً منها بل خوفاً عليها. ويشعر المرأة هنا باهتمامه ونصحه، ولعلَّه في هذا النهج يوهم المرأة والرجل معاً بهذا الحرص المزعوم والخوف عليهما من عدم توفر التكافؤ بينهما، ولكنه في واقع حال المعرِّي وتوجُّهه وإيمانه، يستخدم هذا اللون ليداري فكرته، دائم الإلحاح عليها، وهي أنَّ المرأة صغيرة السن تكون قادرة على الإنجاب والعطاء لاستمرار الحياة وتكثير النَّسل واستمراره.

ويعود الشَّاعر ليستكمل حديثه عن مزايا الزوجة العجوز من خلال قوله[٤٠]:

ولا يتأهَّلَنْ شيخٌ مُقِلٌّ بمعصرةٍ من المتنعمات
فإن الفقر عيبٌ إن أضيفت إليه السن جاء بمعظمات
ولكن عرس ذلك بنتُ دهرٍ تجنبت الوجوه محممات؟
من اللائي إذا لم يُجْدَ عامٌ تفوقن الحوادث مرزمات
من الشمط اعتزلنَ بكل عود وافنين السنين مجرَّمات؟

فالكهل الكبير في السن لا تليق به إلا "بنت الدهر" كما يقول الشَّاعر؛ أي الزوجة المتقدِّمة في السن التي جرَّبت الحياة وعاشتها بكل ظروفها، فهي تتفوَّقُ على الحوادث وتتغلَّب عليها، فإذا ما أتى عامٌ مجدبٌ تحملته بكل مساوئه وبما تيسّر من ألوان الطعام، فهي بسبب تقدُّمها في السن تتَّصف بالقناعة وحُسن التدبير. فالمغزل هو أداتها للعيش والعمل، وتجربتها في الحياة كفيلة بأن تجعلها امرأة حكيمة مدبّرة، فالمعرِّي هنا ينظر إلى الحياة بواقعية أكثر يبحث عن العقل الواعي والإنسان الزاهد الذي يعيش يومه مكتفياً بنصيبه، ولا ينتظر طمعاً في الغد، وهذا الأمر نابع من طبيعة المعرِّي وشخصه، فهو يرى "أنَّ الدنيا مليئة بالشَّقاء، وأنَّها لا تصلح للإقامة فيها، كما أنَّ مصيرها المحتوم إلى الزوال، وأنَّ الإنسان العاقل هو الذي لا يلهث في أعقاب الدنيا، يتهالك على متاعها وحطامها"[٤١].

لذا كان لزاماً على شاعرنا أن ينظر هذه النظرة المعجبة بالزوجة المتقدِّمة في السِّن؛ لأنَّهُ يرى فيها خلاصة الحياة بتفاصيلها فهو القائل[٤٢]:

إذا ما ابن ستين ضم الكَعَابَ إليه فقد حَلَّت البهلة
فلا يتزوج أخو الأربعين إلاَّ مجربَةً كَهْلَةً؟
رأى الشيب في عارضهِ المسن فنعم القرين له الشهلة

ففي هذه الأبيات يضعنا الشَّاعر أمام قوانين ملزمة يوجب على الناس جميعهم الالتزام بها والحفاظ عليها، ومنها: أنَّ ابن الستين لا يتزوج المُراهقة الصغيرة؛ لأنَّ ذلك مدعاة لحلول اللعنة عليهما، فهذه معادلة خاسرة لكلا الطرفين، وهذا ما أشرنا إليه سابقاً، وأيضاً على من وَصَلَ الأربعين، الزواج من الكهلة ذات التجربة في هذه الحياة؛ لأنَّها هي

العقلية المناسبة لهُ، فإذا كان ابن الأربعين لا يوجب لهُ الزواج إلاّ من المتقدمة في السن، فما بالك بإبن الستين؟

إنَّ المعرِّي هنا يبحث في قوانين الحياة الاجتماعية ليتمكّن من إيصال فكرةٍ يرسّخ عن طريقها رؤية معينة تساعد في نجاح الحياة والمحافظة على واقعيتها -على طريقته- فإذا التزم كُل شخصٍ بما له وبما عليه، وأخذ من الدنيا ما يتوافق ومقاسهُ، بالطبع سنصل ولو قليلاً إلى قناعة الواعي وزهد المجرِّب، وهذا ما كان مسيطراً على فكر شاعرنا وعقلانيته في التعامل مع ضروب الحياة المتعددة.

د- الزوجة الضُرَّة:

لقد كان للمعري وجهة نظر خاصة حول مفهوم الزواج بأكثر من واحدة، فقد أورد ذلك من خلال بثّه لبعض الأبيات الشعرية التي تناقش هذا الموضوع وتبحث فيه، ومن ذلك قوله(٤٣):

إذا كنـــتُ ذا ثنتـــين فاعـــدل أو اتَّحِـــدْ ... بنفسـك فالتوحيـد أولـى مـن العـدل
شـــفاه المهـــا تغنـــي يســـاراً تفيئُـــهُ ... عليـك المهـاري مـن مشـافِها الهُـدْلِ

فمفهوم الزوجة الضُرَّة أو الزوجة الثانية مصطلحٌ غير مرغوبٍ فيه عند المرأة المتزوجة، فهي بالتأكيد لن تكون راضية عن زواج زوجها بغيرها، حتى وإنْ شاءت الظروف لها وأظهرت عكس ذلك، وشاعرنا لم يتناول هذا الموضوع إلا لغايةٍ في نفسه، أراد من خلالها إيصال فكرة معينة، سنحاول الولوج إليها عن طريق تحليل الأبيات الشعرية التي قيلت في هذه القضية.

وفي هذين البيتين قانون مُلزم يضعهُ الشّاعر لمن أراد أن يتزوج بأكثر من واحدة، وهو قانون العدل الذي يرى فيه أساس التعدُّد، على أنَّه يُرجّحْ كفة التوحُّد بالنفس الذي يمثل أفضلية كبرى للرجل الذي لم يقبل على الزواج من الأصل، فتعدُّد النّساء يجلب لصاحبه الفقر؛ لأنّه بالطبع سينفق كل ما يكسبه من أسفاره البعيدة على زوجاته وأولاده، وعِشْرَة النّساء تتطلب منه مسؤولية كبرى، فهو المعيل الوحيد لهُنَّ ولأولاده، عداك عن العداوة والبغضاء التي قد تنشب بين النّساء المتزوجات من رجلٍ واحدٍ، لذا فالضرر الذي يأتي من تعدُّد الزوجات أكثر من النفع، وفي هذا روعٌ وزجرٌ للمتزوجين من الإقبال على هذه الخطوة مرةً ثانية، وللمقبلين على الزواج من الزواج نفسه، فالوحدة أفضل الحلول التي يمكن أن يقدم عليها الرجل في حياته.

ويمكن التذكير بأننا أشرنا سابقاً إلى أنَّ المعرِّي كان رافضاً لفكرة الزواج نفسها، وإنْ كان لا بدَّ منها، فالزواج من العقيم هو الأفضل؛ وذلك لأنّه يرى أنَّ النّسل لا فائدة منه، وأن مجيئه سببٌ في شقاء الأهل وتعاستهم، فإذا كان شاعرنا يرفض الزواج من واحدة لأنها قد تنجب وتزيد في عدد البشر الذين جبلوا على الظلم والشر والأنانية، فما بالك بردّة فعله على الزواج بأكثر من واحدة؟ لعلَّ هذا الرأي هو أحد الأسباب التي كانت دافعاً لرفض المعرِّي لتعدُّد الزوجات، ويمكن الإشارة إلى أنَّ هناك سبباً آخر كان دافعاً له لرفض هذه الفكرة، وهو أنّه يرى أن الرجل عند زواجه من أخرى لن يستطيع أن يحقّق ميزان العدل بينهما؛ وذلك لأنَّ الطبيعة البشرية قد تميل بالفطرة إلى أحد دون أحد، وهذا فيه ظلمٌ لإحدى الزوجات وجناية عليها، مما قد يخلق بينهن العداوة والبغضاء، ولن يقع تحت طائلة العذاب في هذه القضية إلا الزوج، فشاعرنا هنا يظهر بصورة المشفق على المرأة والرجل من الزواج المتعدِّد، فهي معادلة غير مريحة لكلا الطرفين.

ويقول في هذا الموضوع(٤٤):

وواحـــدةٌ كفتـــك فـــلا تجـــاور إلـــى أخـــرى تجـــيء بمؤلمـــاتٍ
وإن أرغمـــت صـــاحبةٌ بضـــرٍّ فأجـــدر أن تـــروغ بَمرغمـــاتِ
زجـــاج إن رفقـــت بـــه وإلا رأيـــت ضـــروبه متفصِّـــماتٍ

فالمعرِّي هنا يقف موقف المعالج النفسي للمرأة بدراسة نفسيتها دراسة واعية مثقفة، وكأنَّه يقرأ أفكارها بأدق التفاصيل، فهو يرى أنَّ الاكتفاء بزوجة واحدة يبعد الرجل عن الآلام؛ لأنَّ المرأة بطبيعتها لا تقبل الشريك لها في زوجها، فإذا ما تزوج زوجها بامرأة غيرها، فإنَّ الحياة ستنقلب رأساً على عقب؛ وذلك لأنَّ نفسية المرأة يجب أن تعالج برفق، فهي كالزُّجاج، إذا لم يُعتنى بها ستتحطم، ومن ثمَّ يصعب إعادة تركيبه؛ لأنَّك لن تعرف ما الذي ستفعله المرأة بعد ذلك.

ويسهب الشَّاعر في هذه القضية قائلاً(٤٥):

تـــزوَّج بعـــد واحـــدةٍ ثلاثـــاً وقـــال لعرســـه يكفيكـــي رُبعـــي
فيرضـــيها إذا اقتنعـــت بقـــوتٍ ويرجمهـــا إذا مالـــت لتَبـــع
ومـــن جمـــع اثنتـــين فمـــا تـــوخى ســـبيل الحـــق فـــي خَمـــسٍ و رُبْـــع

في هذه الأبيات يسخر الشَّاعر من الرجل المتزوج بأربعة نساء، ويشبِّهه بالسلعة التي تباع وتشترى وتقبل القسمة على أربعة، فكل واحدة من زوجاته لها رُبعه، وسيتم تعويضها عن ثلاثة الأرباع الباقية بالقوت، فإنْ هي وافقت على هذه القسمة نالت رضا زوجها وخيره، وإنْ لم توافق حلَّت عليها اللعنة والرَّجم، فأي ظُلم يمكن أن تناله الزوجة أكثر من هذا؟

فالرجل لم يكتفِ بزواجه من غيرها ولكنه يرغمها على الرضى والقبول وإلا فلا مجال لها إلا الضَّرب واللعنة، فأي عدل سيتحقق في ظل هذه الظروف التي وقع بها الرجل وأوقع زوجته فيها؟ والمعرِّي يرى أنَّ الزواج من اثنتين لا يمكن أن يحقّق العدل، فما بالك بالذي يتزوج من أربعة نساء؟ وعليه، فإنّ موقف الشَّاعر من الزواج المتعدِّد واضح لا شكَّ فيه، فهو يرى أنَّ الرجل متضرِّر من هذه القضية بشكلٍ كبيرٍ، فعدم عدله مدعاةٌ لغضب الله عليه وغضب زوجاته، وهذا الأمر سبيل للأذى والشقاء، عدا أنَّ تعدُّد الزوجات بوابةٌ لتعدُّد النسل، وهذا أمرٌ وبالهُ وخيم على الأب والأسرة بكاملها، فهل لشخص عاقل أن يؤدي بنفسه إلى هذه المهالك؟ وهذا من باب شفقة المعرِّي على الرجل الذي يقدم على خطوة الزواج الثاني ولا يعرف عن عاقبته.

وأمّا بالنسبة للمرأة، فالشَّاعر يرى أنَّها أكثر شخص متضرِّر في هذه القضية على المستويين النفسي والاجتماعي، فوجود شريك لها في زوجها ليس بالأمر الهين، وهو قد يكون سبيل في إهمالهِ لها وعدم قدرته على القيام بحقوقها عليه، وبالنسبة للأذى النفسي الذي يصيب الزوجة عند زواج زوجها، لا يمكن لأي شخص أن يستوعب حجمه، وهو مدعاة لتفكُّك الأسرة وضياعها.

هـ- الزوجة العاملة:

عندما نريد دراسة مفهوم الزوجة العاملة في النص العلائي، يجب علينا أن نعرف أنَّنا نتحدث عن امرأة إيجابية في الحياة تدرك واجباتها تجاه مجتمعها الذي تعيش فيه، وتعمل من أجل تحقيق سعادتها وسعادة زوجها كي تتمكن من الوصول إلى الاستقرار

النفسي والاستقرار داخل البيت، ولكنَّ عمل المرأة عند المعرِّي ومع حثّه عليه، لم يأتِ هكذا بطريقة مطلقة، فهو مشروطٌ بأمور معينة يجب على الزوجة العاملة الأخذ بها والسير عليها.

ولمناقشة هذا الأمر، علينا أن ننظر في قول المعرِّي(٤٦):

قد حاطت الزَّوجَ حُرَّةٌ سألت ... مليكها العَون في خِياطتها؟
أماطت السوء عند ضمائرها ... فلاقت الغير في إماطتها؟
غَدَتْ ببُرس إلى مَرادنها ... وخيط غزلٍ إلى خياطتها؟

في هذه الأبيات، نرى أنَّ الشَّاعر يرسم صورة لما يجب أن تكون عليه الزوجة، أو قل يحدَّد شروط العمل، فأولاً عليها أن تقبل على طلب العون من رب العالمين لمساعدتها في رعاية زوجها والمحافظة على أسرتها وبيتها، وثانياً عليها أن تقوم بإبعاد السُّوء عن ضميرها لكي تُعطى الخير بحسب صفاء النيّة، وثالثاً عليها أن تلتزم عملها وتقبل على مَغزلها حتى تتمكَّن من الابتعاد عن مجالس اللهو وإشغال نفسها بما هو خيرٌ لها ولزوجها ولبيتها. فالعمل كما يراه الشَّاعر، ليس مجرد دخل مادي للأسرة فحسب، بل هو يرمز إلى أمر أبعد من ذلك، فما أن تلتزم الزوجة العمل داخل البيت حتى يمتلئ وقتها بما هو مفيد، فالفراغ له سلبيات على المرأة الزوجة بشكل كبير جداً، ففي العمل إشغالٌ للعقل والفكر، وإبعادٌ عن مجالس الغيبة والنميمة، والوصول إلى حدود القناعة بما قسمه الله لها؛ لأنَّ المقارنات أحيانا قد تؤذي العلاقة الزوجية وتوصلها إلى الفشل، فالعمل سبيل الراحة المادية والنفسية معاً.

والمعرِّي هنا يُمعن النظر في العصر الذي يعيش فيه، ويرى أنَّ اختلاط الأجناس العربية بغيرها سلاحٌ ذو حدّين يجب التعامل معه بحذرٍ شديدٍ، فإذا ما اختلطت المرأة العربية ذات القيم الأصيلة بغيرها من النِّساء غير العربيات، كالمغنيات والساقيات، فإنَّها قد تتأثر بهن سلباً، لذا فالعمل المنزلي بالمغزل سبيلٌ إلى إشغال الوقت وعدم الاختلاط؛ لأنَّ المعرِّي على يقين تام بأنَّ صلاح المرأة أساس في صلاح المجتمع والعكس كذلك.

ويزيد الشَّاعر في حديثه حول عمل الزوجة قائلاً(٤٧):

غدت للقاطها نسوان قَوْمٍ ... وأفراسُ الأمير لها لِقاطُ

إنَّ الشَّاعر مع عمل المرأة المشروط بتواجدها داخل منزلها والمانع لها من الاختلاط الذي قد يسبِّب لها العديد من المشاكل التي هي في غنىً عنها، وفي هذا البيت الماثل أمامنا، نلحظ أنَّ الشَّاعر يرى أنَّه بإمكان الزوجة العمل في الحقول، ولكن بشرط أيضاً، وهو أنها لا تقوم بهذا العمل الذي هو في الأصل يجب أن يقوم به الرِّجال إلا في حالات الحرب حتى يتمكن الرِّجال من الدفاع عن البلاد وحمايتها ويكونون مطمئنين على أولادهم وبيوتهم.

ويقول أيضاً في هذا الموضوع(٤٨):

سقياً الشوهاء ما همّت بفاحشةٍ ... غَدَتْ على الغَزْل ليست تعرف الغزلا؟
وتجهل العود إلا عودَ مغزلها ... ولا تراح إذا ما عاتقٍ بُزلا

والشَّاعر من خلال دعائه، يعبِّر عن عمق الدلالة للمعنى الذي يريد إيصالهُ، فالأخلاق هي أساس كل شيء، فهو يفضِّل المرأة القبيحة العاملة التي لم تقبل على عمل الفاحشة على المرأة الجميلة ذات الأخلاق الذميمة.

وهنا رمزٌ مهم يشير المعرِّي إليه من خلال التفضيل الذي وصف المرأة الملازمة لعملها به، فهو هنا يفضِّل عمل المرأة ويشدّ عليه، ولكن بشروط، فالعمل يجب أن يكون مقترناً بالمحافظة والأخلاق؛ لأنَّ الشَّاعر ابن عصره يسمع ويشعر ويعرف مدى الاختلاط الذي وصل إليه العرب في تلك الفترة بسبب هجرة غيرهم إليهم، فالمرأة العربية يجب أن تبقى محافظة على قيمها الأصيلة؛ لأنَّ وجود الفتيان والنِّساء اللواتي يعملن في حانات الخمر أمرٌ مخيفٌ ومقلّل لهيبة المرأة بشكلٍ عام.

لذا فلفظة "المغزل" التي أوردها الشَّاعر هنا، لها بُعدٌ قيمي واجتماعي مرتبط بصورة المرأة العربية وما يجب أن تكون عليه، فهي عندما تلتزم المغزل وتجهل ما يدور في البلاد من انحلال أخلاقي له علاقة بغناء المرأة وفتحها قوارير الخمر للشاربين، تكن في قمة المحافظة ورقي الأخلاق، وذلك من باب احترام خصوصيتها، فهي ليست سلعة تباع وتُشترى، ولكنها كائن خلقه الله لهُ قيمته التي يجب أن تصان وتُحترَم، فشاعرنا مع عمل المرأة المحافظة على حقوقها والذي لا يخدش حياءها ويبعدها عن مجالس اللهو والطرب.

وفي كثيرٍ من المواطن تواجهنا أشعار أبي العلاء الواصفة للمرأة بسيل من التناقضات، بل وتصدم القارئ في أحيان كثيرة، فهل هو الغيور على المرأة المشفق لحالها المدافع عنها؟ أم هو الناقم عليها المتعوّذ ممَّا جلبته من شر لهذه الحياة؟ لعلَّ هذا يخفي وراءه أمراً يتكشف لنا كلما سبرنا بحر أشعاره وفقاً لمعتقداته، فالبحث هنا يميل إلى أنَّ الشَّاعر وفي معظم الأشعار التي تناول فيها المرأة ما كانت إلا رمزاً ووسيلة ينفث من خلالها عن نظرة سوداوية للحياة الدنيا وتقلبها؛ لذلك جاءت المرأة على صور متعدِّدة متباينة متناقضة بصفاتها ووظائفها لتعبِّر عن تقلُّب الأحوال وعدم استقرارها ينظمها أبو العلاء من خلال منظار التشاؤم الذي خيَّم على عدد غير قليل لوصف وصور المرأة.

و- الزوجة سيئة الخُلق:

سنتناول في هذه الجزئية من البحث صورة الزوجة سيئة الخُلق، حيث حذّر المعرِّي من بعض النِّساء اللواتي يقمن بالأعمال الذميمة تجاه أزواجهن ومجتمعاتهن.

ومن ذلك قوله(٤٩):

نفســـي فِـــداءُ أميـــرِ المـــؤمنين إذا أبـــدَى النَّواجِـــذَ يـــومٌ باسِـــلٌ ذكَـــرُ

فإن أنت عاشرت الكَعابَ فَصادِها وحاول رضاها واحذرن غضابها
فكم بكرت تسقي الأمر حليلها من العار أن تسقي الخليل رضابها

ففي هذه الأبيات الماثلة أمامنا يصوِّر الشَّاعر كيد بعض النِّساء اللواتي يقمنَ بإغراء بعض الرِّجال ليحصلن على غايتهن التي يُردنها عن طريق الغواية، فهي أقل ما تجنيه على الرجل أنها لا تُريه منها إلا ما يحلو له، فعليه أن يحذر منها ويداريها ويتفادى غضبها وإلا فكيدها عظيم، فكثيرٌ من النِّساء تسقي زوجها المرّ، ولكنها تجود على عشيقها بالحلو من ريقها وفي ذلك بلاء عظيم.

ويزيد الشَّاعر في هذا الموضوع قائلاً(٥٠):

أعـــوذ بـــالله مـــن ورهـــاء قائلـــة للـــزوج إلـــى الحمّـــام احتـــاج
وهمُّهـــا فـــي أمـــورٍ لـــو يتابعهـــا كسـرى عليهـا، لشـينَ المُلـكُ والتـاجُ

في الأبيات السابقة، يتعوَّذ الشَّاعر بالله من المرأة الفاجرة التي تتذرَّع بالحمام لأمر شائن تضمره في نفسها، فهي تطلب من زوجها الخروج بداعي الترفيه، ولكنها تخفي بداخلها أموراً ونوايا سيئة لو اطلع عليها كسرى لترك ملكه وتاجهُ، فاستخدام الشَّاعر لكلمة "أعوذ بالله" في بداية الأبيات ما هو إلا لتعبيره عن الغضب والأسى تجاه هذه القضية، وهي تغافل الزوجة للزوج والإتيان بالآثام والمعاصي، وذلك من باب حرص الشَّاعر على المرأة الزوجة، فهو يعرف أنَّها هي أساس صلاح المنزل، فإذا ما استغفلت زوجها وأقدمت على عمل الخطأ، فإنَّ البيت سيهدم وبعدهُ المجتمع كامل سيسوء؛ لأنها صاحبة دورٍ فعَّال في صلاح المجتمع بكل أطيافه، فشاعرنا يرى أنَّ زينة المرأة البر والمروءة لذلك يقول(٥١):

إذا سلقت عِْرسُ الفتى في كلامها ... فما هي إلا سِلقَةٌ عارضتْ سِلقا
وأحسن أثواب الأوانس بُردةٌ ... من الحسن لا تُنضى لغسلٍ ولا تلقى

يتحدَّث الشَّاعر في هذه الأبيات عن حُسن الخلق الذي يجب أن يتوفَّر في المرأة، وذلك أنَّها يجب ألا تكون طويلة لسان تؤذي زوجها بكلامها، فخير ما يصونها هو ثوب لا يتَّسخ، فلا يغسل، ولا يُرمى، ويقصد به جمال الخلق فهو يشبِّه المرأة طويلة اللسان بالذئبة المهارشة؛ لأنها سليطة ذات صوت مرتفع بدون أخلاق حسنة، وهذا ما يُفترض ألا يكون في الزوجة.

رابعاً- المرأة الدنيا:

لقد اهتمَّ أبو العلاء المعرِّي اهتماماً كبيراً بقضية الدنيا، وبهذا فقد حظيت منهُ بشعر ليس بالقليل في دواوينه جميعاً، وبالأخص ديوانه اللزوميات، وكان هذا الأمر محط أنظار الكثير من الباحثين في أدبه، إذْ إنَّ: "أمره اختلط على العديد من الناس، فاتهمهُ قومٌ بالكفر ورفعهُ قومٌ إلى منازل الصديقين، ذلك أنَّ بعض الناس رأوا في آثاره فلسفة حُرّة صريحة خروجاً على ما ألِفَ المتحفّظون في الدِّين من الاقتصاد في القول والعمل، ورأى قومٌ آخرون وعظهُ الرائع الذي ينفذ إلى القلوب فيؤثر فيها أبلغ الأثر وأقواه فجعلوه من أولياء الله الصالحين"(٥٢).

ولكنَّ ما شغل الباحثين على المستوى الأوسع، أنّه شبَّه الدنيا في أغلب الأبيات التي تحدَّث فيها عنها بالمرأة، وقد أدَّى هذا الأمر إلى قيام كثيرٍ من الدَّارسين بإصدار حكمهم على المعرِّي في رأيه بالمرأة من خلال وجهة نظره بالدنيا نفسها، وعليه فقد قالوا أنّه سيء الظن بالمرأة على وجه العموم، ولهذا فقد ارتأينا أن ندرس المرأة من خلال تلك الصور التي شبه الشَّاعر الدنيا بها ونسميها المرأة الدنيا، ولنتمكن من مناقشة هذا الأمر وإعطاء رأينا فيه علينا أن ننظر في أبيات المعرِّي التي أوردها في اللزوميات ومنها قوله(٥٣):

نقمت على الدنيا ولا ذنب أسلفت ... إليك فأنت الظالم المتكذِّبُ
وهبها فتاةٌ هل عليها جناية ... لمن هو مضنى في هواها معذّبُ

ينصح الشَّاعر في هذين البيتين الشخص بعدم التعلُّق بالدنيا وحبها؛ وذلك لأنَّها إن سرّتك اليوم لن تسرّك غداً، فديدنها هو دوام الحال من المحال، وهذا ما جبلت عليه، فإنّ أنت أقبلت عليها وأحببتها أكثر من اللازم لا تغضب إن لم تشاركك نفس المشاعر، فهي مثل الفتاة لا تحمل ذنب من تعلّق بها وأحبها، وهي لم تحبهُ من الأصل، فالمشاعر ليست بيديها ولا سلطان لها عليها.

ويقول أيضاً(٥٤):

دنيـــــاك ورهـــــاءُ لهـــــا شـــــارة وقبحهـــا يســـتر تحـــت النقـــاب

عندما نمعن النَّظر في البيت السابق، نرى أنَّ الشَّاعر يتحدَّث عن وصفٍ مختصرٍ للدنيا وما هي عليه، فهي مهما تزيَّنت وتجمَّلت لا يمكن أن تستر قبحها ولو من تحت النِّقاب، كالمرأة الحمقاء لا يمكن أن تخفي قبحها فمهما وضعت من زينة وتجمَّلت وتباهت.
ويقول أيضاً(٥٥):

أو مـــا تفيـــق مـــن الغـــرام بفـــاركٍ مشـــهورة مـــع غيرنـــا وقعاتهـــا

هذا البيت مأخوذٌ من قصيدة طويلة يتحدث فيها الشَّاعر عن فساد الدنيا ووجوب نبذها، ومن أحد التشبيهات التي شبَّه الشَّاعر الدنيا بها المرأة الفارك: أي تلك التي تكره زوجها وتتخلى عنهُ، وبحرفية عالية يختار الشَّاعر هذا التشبيه ليقرِّب للمتلقي المعنى الذي يريده فهو يقول للقارئ: عليك أن تفيق من حبك للدنيا وتعلُّقك بها؛ وذلك لأنها كالمرأة الفارك التي تكره زوجها ولا تحبه، وعلمك بمن تكره زوجها ماذا قد تفعل به؟ وهذا من سبيل تقديم العبرة والعظة لعدم التعلق بالدنيا وحبها.
ويقول المعرِّي(٥٦):

ولـــــو كانـــــت الـــــدنيا عروســـــاً وجدتها بما قتلت أزواجها، لا تزوّجُ

فالشَّاعر هنا يقول: إنَّ الدنيا لو كانت عروساً لتمنَّيت لها أن لا تتزوج لأنها قد دأبت على قتل أزواجها واحداً بعد الآخر، والمقصود بزوج الدنيا هنا هو الشخص المقبل عليها، فالمعرِّي يطلب من الناس عدم الإقبال على الدنيا وتركها عزباء؛ لأنَّ من أقبل عليها وأحبها لن ينال من هذا الحب سوى الفراق الذي ستكافئه به، والمقصود به هنا الموت الذي سيقع لا محالة.
ويقول في وصف الدنيا المشبهة بالمرأة(٥٧):

لقـــد غـــرّت الـــدنيا بنيهـــا بمـــذقيها وإن ســـمحوا مـــن وُدّهـــا بصـــريح
أليلـــى وكـــلُّ أصـــبح ابـــن ملـــوح ولبنـــى ومـــا فينـــا ســـوى ابـــن دُريـــح

يريد الشَّاعر هنا أن يوضِّح للقارئ خداع الدنيا الخالص لبنيها ومقابلة ذلك الخداع منهم بالود الصريح وشتان ما بين الأمرين، فهو يشبِّه علاقة المحب للدنيا والمتعلق بها بعلاقة الشعراء العذريين، "فحبهم يعبِّر عن حالة مرضية متغلغلة في نفس العاشق وتتبيَّن في ولعه وسقمه وهزاله وحرمانه وتلذُّذه بألمه وشقائه وتعاسته واستمتاعه بحرقة الشَّوق الذي لا أمل في إشباعه"(٥٨).

فهي المعشوقة التي لا تُمَل ولا يُحَب فراقها وكأنها أصبحت ليلى أو لبنى وكلّ المتيمين بها قيس ابن الملوح أو قيس ابن دُريح، وذلك لشدة ذلك الرباط الذي يربط بينها وبين محبيها وصعوبة فراقها وألمه، فالشَّاعر في كل محاور حديثه عن الدنيا يصور علاقة التمسك بها والذي يمثل أرقى أنواع الحب، وعلاقة الصد التي تأتي من جهتها. تمثل قمة الخذلان والأنانية والخداع ويأتي بالعديد من الأمثلة التي تبيّن ذلك ليردع عاشق الدنيا عن التخلي عن هذا العشق.

وعلى ما سبق من أمثلة، يحذر الشَّاعر الإنسان من خلالها عن التخلّي عن عشق الدنيا وعدم اتباعها، نلحظ أنّ هناك عدّة أمور يجب علينا النظر والبحث فيها، نجد تفسيراً لاتخاذ الشَّاعر المرأة رمزاً يشبِّه الدنيا:

علينا أن نلحظ أنَّ الدنيا مؤنثة، والشَّاعر عندما يريد أن يشبِّهها بشيءٍ ما يقوم بتشبيهها بما هو مؤنث حتى يستطيع تقليب المعنى لذهن المتلقي؛ لأنّنا أشرنا سابقاً أنَّ الشَّاعر في كثير من الأحيان يحمل في أبياته رسالة يودُّ إيصالها إلى الناس بطريقة مفهومة للجميع، وبما أنَّ الشَّاعر يرى أنَّ الدنيا متقلبة وكلّ يوم لها حال لم يُرد تشبيهها بشيء غير حي؛ لذا نجده يختار لها المرأة؛ لأنَّها كائن حي ومؤنَّث، وفي الأبيات السابقة دليل ذلك، فالبيت الذي تحدَّث فيه الشَّاعر عن قبح الدنيا، وأنَّه لن يُخفى حتى من وراء حجاب، وشبَّه ذلك بالمرأة الحمقاء التي تتزيَّن لتخفي قبحها، نلحظ أنَّ اختيار المرأة هنا هو أبلغ من غيره؛ وذلك لأنَّ المرأة في الحقيقة هي التي تستخدم الزينة ومساحيق الجمال لتظهر جمالاً أو لتخفي قبحاً في شكلها، فهو لن يستطيع أن يستخدم الرجل كمشبه به هنا.

وفي البيت الذي يليه، عندما استخدم الشَّاعر صورة المرأة الفارك التي تتخلى عن زوجها ولا تحبه، أراد أن يوضِّح الصورة من خلال تشبيه قريب من البيئة المعاشة، واختار المرأة الفارك بالذات؛ لأنَّها في بعض الأحيان قد تجبر على الزواج من رجل لا تحبه بعكس الرجل، وإن لم تحب المرأة زوجها لأنها أرغمت عليه، أو لأنَّ تصرفاته في الأصل لم تعجبها، فإنَّ نتيجة ذلك وبال عليه، فهي قد تفعل المستحيل لتتركه حتى وإن أظهرت رضاها وعدم غضبها، وعندما استخدم الشَّاعر صورة شعراء الغزل العذري وشبَّه الدنيا بمحبوبات الشعراء العُذريين والأشخاص المقبلين على الدنيا بالمحبين، أراد أن يختار من الصورة معنىً معيناً، وهو أن شدة الحب والتعلُّق بالمحبوبة أمور غير كفيلة بأن توفق بين المتحابين؛ لأنَّ الأشياء التي تحول بين لقائهم كثيرة، وحتى إن حصل وتلاقوا، فلا بدَّ لهم من الفراق، وهذا ما حصل مع قيس ولبنى.

وعليه، فإنَّ كلّ الأبيات التي تحدثت عن هذا الموضوع وشبهت المرأة بالدنيا وأخذت بعض صفات المرأة وأضافتها على الدنيا، لا تجعلنا نحكم على الشَّاعر بأنه سيئ الظن بالمرأة كما هو سيئ الظن بالدنيا؛ وذلك لأنَّ الشَّاعر أورد كثيراً من الأشعار في ديوانه، التي لم يأتِ البحث عليها كلها، وقد وصف من خلالها المرأة الفضلى كما يراها، وفي الموطن ذاته وصف المرأة ذميمة الخُلق وأدلى دلوه في أمرها، ومن هذا وذاك رأينا أنَّ الشَّاعر يؤمن بأنَّ هناك نساءً جيِّداتٍ، ونساءً غير جيداتٍ، وهو عندما يريد وصف الدنيا بأوصاف سيئة يقوم بأخذ الصفات غير الجيدة من النِّساء الذميمات ويصف الدنيا بها، فهو هنا يريد الصفة لا يريد المرأة بعينها؛ لأنَّه لو أراد المرأة بعينها لوصف بعض النِّساء بأوصاف جيدة كما أشرنا سابقاً، ولذلك لا يمكن لأي شخص أن يقول أنَّ المعرِّي سيئ الظن بالمرأة لأنَّه يشبِّه الدنيا بها، والمعروف أنَّ "التشبيه هو أن تتعدَّى الكلمة عن مفهومها الأصلي بمعونة القرينة على غيره لملاحظة بينهما"[٥٩]؛ أي أنَّه قد يجمع بين مرأة معينة تحمل صفة سيئة وبين الدنيا ليوثق المعنى ويقرِّبه فقط على سبيل التمثيل لا على سبيل التعميم.

وفي نهاية مطاف البحث حَوْلَ صورة المرأة عند أبي العلاء في لزومياته، تلك الصور المتعددة التي أخذ البحث بعضها وأرجأ القول في كثير منها إلى درس موسع كشف البحث من خلالها رأي المعرِّي في المرأة بصورها المتعدِّدة التي أشرنا إليها سابقاً، وهنا لا بدَّ من القول:

إنَّ رأي المعرِّي فيما يخصُّ المرأة واضحٌ تماماً، حيث إنَّه لم يعطِ حكماً عاماً في المرأة كما قيل عنهُ، ولكنه كان يوجِّهُ نقده للمرأة حسب الحالة التي تأتي عليها، ونقده يوجِّهه من خلال الصِّفات والوظائف المناطة بالمرأة، وأخال المرأة هنا هي رمز للدنيا وليست

المرأة صنو الرجل، ومن ذلك أنّنا عندما تحدّثنا عن صورة الزوجة المنجبة رأينا أنّه كان مشفقاً عليها من الحمل والولادة، وأنَّ سخطهُ كان على النَّسل، فهو رافضٌ له من باب رفضه للحياة بجُلّها؛ لذلك كان يرى أنَّ المرأة العقيم هي أفضل النّساء؛ لأنَّها لا تلد ولا تربي. وهذا يخالف الفطرة والغريزة الآدمية إلا عند شاعرنا، وعندما حضرت صورة المرأة العجوز، رأينا أنَّه يصفها بالحكمة، والزهد، وحسن التدبير، وضدها هي المرأة الفتية الشابة، إذ يوصيها بعدم الزواج بكهلٍ وذلك من باب خوفه عليها، وحرصا منه على تحقيق التكافؤ، فالفارق العمري مدعاة لحلول اللعنة عليهما كما زعم، ونجده في موطن آخر يؤيِّد عمل المرأة ضمن شروط خاصة، من حيث مكان العمل ومدته وطبيعته، محدداً إخلاقياته، داعياً إلى الانضباط بها حرصاً عليها لا يقبل بالعمل غير المنضبط الداعي للاختلاط والخروج من المنزل، فالشَّاعر ابن عصره وبيئته، وهو قادر على تقييم ظروف عمل المرأة في تلكم البيئات التي عمَّ فيها الفساد بدخول بعض النّساء اللواتي يعملن أعمالاً غير مشروعة في قانون الدّين والعرف العربي وذلك رأفةً بضعف النّساء وخوفاً عليهنّ من الانخراط في هذا المجتمع المفكّك.

ولكنَّ الشَّاعر حينما وصف المرأة الزوجة سيئة الخلق، رأيناهُ يوجِّه نقده لفئة معيَّنة من النّساء كاللواتي يقمن بعمل الفاحشة ويخرجن بدون إذن أزواجهنَّ ويتسببن بالأذى لهم، فالمعرِّي كما رأينا سابقاً لم يصدر حكمه بسوء الظن على النّساء جميعهنَّ، ولكنهُ يرى أن فيهنَّ الصالح وفيهنَّ السيئ مثلهن مثل أي شخص آخر، فهو قد يوجِّه نقده لرجل بخيل، ويظهر إعجابه برجل كريم، على خلاف ما ذهب إليه بعض من درس المعرِّي، إذْ أشاروا إلى أنَّه كان سيئ الظن بالمرأة على وجه العموم، وهذا ما دعا البحث إلى تناول الصور المتعدّدة السَّابقة ويظهر رأي المعرِّي فيها.

الخاتمة:

لا بدَّ من القول أنَّ المتناول لشعر المعرِّي عموماً وأشعاره التي خصَّ بها المرأة على وجه الخصوص في ديوانه اللزوميات بالدِّراسة والبحث والتحليل؛ فإنَّه يكون قد وقف أمام شخصية ليست من السهولة بمكان، فالباحث حينما يكون في حضرة المعرِّي، فإنه يكون في حضرة تاريخ وحضارة وأدب وفلسفة وعمق تحتاج إلى كثيرٍ من التأمل والتروِّي في محاولةٍ للتوصُّل إلى بُعد نظر الشَّاعر ورؤاه، فشخصية أبي العلاء المعرِّي تمثِّل فردية مطلقة تخصُّ ذاته المنعزلة مع روحه ونفسه التي أهَّلته ومكّنته من القول(٦٠):

ألــو الفَضــل فــي أوطــانِهم غُرَبــاءُ   تشَــذُّ وتَنــأى عــنهمُ القُربــاءُ

فكأنِّي بالشَّاعر يعيش في وطنه الخاص به والذي يمثله هو فقط الوطن، المعرِّي شأنه في ذلك وحاله حال كل مَن ابتلوا بالتميُّز والتفرُّد بمشاعره وأحاسيسه وكيانه وعقلانيته التي أراد أن يسبغها على كل أشيائه الكبيرة منها والصغيرة، فالمعرِّي يتَّجه إلى العصر لترسيخ بعض أفكاره عن طريق النُّصح والإرشاد وتقديم الوصايا للقرَّاء، وما أدبه إلا بعض رسائل إلى أبناء عصره ومن بعدهم، فالمعرِّي ذلك الإنسان الذي لا يهدأ به الفكر للبقاء على حالٍ واحد، فكلّما تقدَّم به العمر زادت نظرته حدّا وبعداً، وهذا ما جعل بعض دارسيه يروا أنَّه يشكِّل مفارقة كبرى، وهذا قد يوصف "بالذات الصاعدة"، وهي تلك التي تجعل من صاحبها إنساناً يسمو بفكره في كل وقت عمّا سبق.

ونخلص إلى القول أنَّ نظرة المعرِّي للمرأة هي النظرة ذاتها اتجاه نظيرها الرجل يقدِّم له النُّصح أحياناً، ويحذِّر من عدم استغلاله أحياناً أخرى، وفي بعض الأوقات قد يغضب منه لإصداره بعض التصرفات التي تتعارض مع أخلاق الإنسان السوي وفكره، وينظر إلى العالم على حد السواء. ولا يمكن لنا أن نقول بأنَّه يحكم على المرأة وحدها أحكاماً فيها من الحقد والكراهية، وأنّه لا يفضِّلها ويصفها بأبشع الصفات...، فنحن هنا كأننا بإزاء مقارنة يقوم بها الشَّاعر بين المرأة الذميمة والخيّرة فيثني على من يريد ويذم من يريد، ويوصي بما يجب أن تقوم به المرأة حتى تكون جيدة ولا يمكن لأحد التعدِّي عليها وعلى كرامتها.

ولكن ما يمكن التوصُّل له إلى حد كبير، هو أنَّ المعرِّي يؤمن إيماناً تاماً أنَّ المرأة هي مصدر الخصب ورمز العطاء ومدد الحياة نحو الاستدامة، هذه الحياة الدنيا التي خبرها الشَّاعر وابتلاها فشكل عنها رؤية خاصة به، وحكم عليها ربما حكماً جائراً كان يعصف به في كثير من الأحيان عن جادة الطريق المألوف، ممَّا يفتح لنا باب التأويل على مصراعيه، ومن هنا نجده يتَّخذ من المرأة رمزاً ووسيلة لنشر أفكاره وإيصال رسالته، وهي زبدة تجاربه في الحياة، التي مفادها عدم الثقة بالحياة، أو قُل بحياة آخرها فناء وارتحال؛ لذلك جهد في استبعاد أي عنصر يبعث في الحياة نبضها وروحها واستمرارها، حتى أنَّ القارئ يتفاجأ في كثير من توجيهاته نحو أمور تصطدم والفطرة، كأن يدعو إلى الزواج من الكهلة وتفضيلها على عنصر الشباب وكراهية الزواج نفسه، وإذا كان لا بدَّ منه، فليكن بلا إنجاب، وكأنه كان يحرِّض أفراد المجتمع ضد بعضهم، فالنسل فيه هلاك الأم، وعلى الرجل ألا يتزوج بالكاعبة ولا المنجبة، ويمقت التعدُّد حرصاً على مشاعر المرأة الأولى كما يقول، ولكن ما توصَّل إليه البحث ولعلَّه يلامس ما أراده الشَّاعر هو مقته وكرهه للحياة التي سلبته ربما أثمن ما لديه، فلا يرغب بها استمراراً ولا تجدداً، ولو كان بيده إنهاء الحياة ربما ما ادَّخر جهداً في ذلك، ولكنه لم يرد أن يتجاوز الخطوط الحمراء الشاطحة بالإنسان إذا ما

أطلق لها عنانها ولم يكبح جماحها، وهذا ما توصَّلنا إليه من خلال نظرته لأصناف النِّساء سابقة الذكر، ولتحليلنا لشواهده الواردة في كل صنف.

وعلى هذا، فالمعرِّي كما سبق وأن قلنا، إنَّه إحدى الإشكاليات الصعبة في أدبنا العربي، فهو صاحب الفكر الأوحد، والذاكرة المتوهِّجة بقطع النظر عن اتفاقنا معه، أو اختلافنا في الكثير من المواطن والعديد من الموضوعات.

Abstract

The image of the woman in the poetry of Abu Al-Ala Al-Maarri "A study in necessities"

By Rabea Abdel Salam Majali

And Maha Eid Eshtiwi Alawien

This study addressed one of the most important issues that was controversial in the context of literature about the image of woman in the Lozomiyat collections for Abu Al-Ala' Al-Ma'arri. The importance of these collections are manifested in demonstrated the opinion of Abu Al-Ala' Al-Ma'arri in a complete way that is not limited to a certain area in giving a total judgment about his view of her without emphasizing her individual images mentioned in his poetry.

This study aimed at demonstrating the opinion of the poet about woman in a way that is far away from abuse by analyzing the several poems that addressed woman. The study demonstrated the images of the woman, by connecting all that with the intellectual sides in the life of Abu Al-Ala', in terms of the cultural life and the intellectual products at that time, as well as the issues relating to isolation and pessimism about him.

The poetry of Abu Al-Ala' addressed several models, where they sometimes visualized woman based on her expected image and the characteristics with which she was depicted in other times. The focus of these poems was directed towards job and trait, either as praise, slander, admiration or irony more than his focus on describing a human being, in terms of femininity or masculinity.

The woman's models addressed in the collection of Abu Al-Ala' included:

The woman "Eve", the mother, and the wife, and here where the image of securing woman, infertile woman, the other wife, the old wife, the bad-manners wife, the working wife and the inferior wife was manifested. The collection of Lozomiyat is full of various images about the types of women that would be addressed in other context.

Keywords: Al-Ma'arri, Necessity of what is not necessary, the Woman, Isolation, Bargaining.

الهوامش

(١) حسين، طه، تجديد ذكرى أبي العلاء المعرِّي، ص٢٨٢.

(٢) العقاد، عبَّاس محمود، (١٩٨٧)، مطالعات في الكتب والحياة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، ط١، ص١٠٣.

(٣) أبو ذياب، النزعة الفكرية في اللزوميات، ص٤٣٣.

(٤) اليازجي، كمال، (١٩٨٨)، أبو العلاء ولزومياته، دار الجبل، بيروت، لبنان، ط١، ص٣٣٥.

(٥) السرور، نجيب، (٢٠٠٨)، تحت عباءة أبي العلاء، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط١، ص١٧١.

(٦) اليازجي، كمال، (١٩٨٨)، أبو العلاء ولزومياته، دار الجبل، بيروت، لبنان، ط١، ص٧٨.

(٧) حسين، طه، مع أبي العلاء في سجنه، ص١٠١-١٠٥.

(٨) عبد الرحمن، إبراهيم، (١٩٨١)، التعبير الأسطوري في الشعر الجاهلي مجلة فصول العدد ٣ الهيئة العامة مصر ص٣.

(٩) جديد عبد الرحمن إبراهيم ١٩٨١ التعبير الأسطوري في الشعر الجاهلي، مجلة فصول، العدد ٣، الهيئة العامة، القاهرة، مصر، ص٣.

(١٠) المعرِّي، أبو العلاء، لزوم ما لا يلزم، ج١، ص٧٩.

(١١) المعرِّي، أبو العلاء، لزوم ما لا يلزم، ج١، ص١٢٤.

(١٢) المعرِّي، أبو العلاء، لزوم ما لا يلزم، ج١، ص١٢١.

(١٣) المعرِّي، أبو العلاء، لزوم ما لا يلزم، ج١، ص١٥٦.

(١٤) المعرِّي، أبو العلاء، لزوم ما لا يلزم، ج١، ص١٨٣.

(١٥) المعرِّي، أبو العلاء، لزوم ما لا يلزم، ج١، ص٣٨٢.

(١٦) المعرِّي، أبو العلاء، لزوم ما لا يلزم، ج٢، ص١٧٠.

(١٧) المعرِّي، أبو العلاء، لزوم ما لا يلزم، ج٢، ص٣١.

(١٨) انظر: اليازجي، كمال، أبو العلاء ولزومياته، ص٤٣.

(١٩) المعرِّي، أبو العلاء أحمد ابن عبد الله بن سليمان بن محمَّد التنوخي، (١٩٩٦)، سقط الزند تحقيق: مصطفى السقا وعبد الرحيم محمود، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١ ج٢، ص١٦٣.

(٢٠) انظر: اليازجي، أبو العلاء ولزومياته، ص٤٣.

(٢١) المعرِّي، أبو العلاء، لزوم ما لا يلزم، ج١، ص٢٥٤.

(٢٢) المعرِّي، أبو العلاء، لزوم ما لا يلزم، ج١، ص٢٧٤.

(٢٣) المعرِّي، أبو العلاء، لزوم ما لا يلزم، ج٢، ص٢٥.

(٢٤) المعرِّي، أبو العلاء، لزوم ما لا يلزم، ج١، ص٣٠٧.

(٢٥) المعرِّي، أبو العلاء، لزوم ما لا يلزم، ج٢، ص٣٥٤-٣٥٥.

(٢٦) المعرِّي، أبو العلاء، لزوم ما لا يلزم، ج٢، ص٣٥٤-٣٥٥.

(٢٧) المعرِّي، أبو العلاء، لزوم ما لا يلزم، ج١، ص٦٢.

(٢٨) المعرِّي، أبو العلاء، لزوم ما لا يلزم، ج١، ص٤٧.

(٢٩) المعرِّي، أبو العلاء، لزوم ما لا يلزم، ج١، ص٩٠-٩١.

(٣٠) المعرِّي، أبو العلاء، لزوم ما لا يلزم، ج٢، ص٢٦٢-٢٦٣.

(٣١) لمزيد من التفاصيل انظر: ديوان لزوم ما يلزم، ج١، ص١٩١، ٢٠٣، ٤٢٧، ج٢، ص١٧٣، ٢٦٣.

(٣٢) المعرِّي، أبو العلاء، لزوم ما لا يلزم، ج١، ص٢٨٧.

(٣٣) المعرِّي، أبو العلاء، لزوم ما لا يلزم، ج٢، ص٣٣.

(٣٤) سورة الأنبياء، آي: ٨٩.
(٣٥) المعرِّي، أبو العلاء، لزوم ما لا يلزم، ج٢، ص٢٥٩.
(٣٦) المعرِّي، أبو العلاء، لزوم ما لا يلزم، ج١، ص٢٨١.
(٣٧) المعرِّي، أبو العلاء، ديوان لزوم ما لا يلزم، ج٢، ص٣٣٧.
(٣٨) المعرِّي، أبو العلاء، لزوم ما لا يلزم، ج١، ص١١٠ .
(٣٩) المعرِّي، أبو العلاء، لزوم ما لا يلزم، ج٢، ص١٩-٢٠.
(٤٠) المعرِّي، أبو العلاء، لزوم ما لا يلزم، ج١، ص١٩٥-١٩٦.
(٤١) أبو ذياب، خليل إبراهيم، (١٩٩٦)، النزعة الفكرية في اللزوميات، الشركة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط١، ص٣٧٩.
(٤٢) المعرِّي، أبو العلاء، لزوم ما لا يلزم، ج٢، ص٢٠٤.
(٤٣) المعرِّي، أبو العلاء، لزوم ما لا يلزم، ج٢، ص٢٠٨.
(٤٤) المعرِّي، أبو العلاء، لزوم ما لا يلزم، ج١، ص٩٦.
(٤٥) المعرِّي، أبو العلاء، لزوم ما لا يلزم، ج٢، ص٤٠.
(٤٦) المعرِّي، أبو العلاء، لزوم ما لا يلزم، ج١، ص١٩٨.
(٤٧) المعرِّي، أبو العلاء، لزوم ما لا يلزم، ج٢، ص٥.
(٤٨) المعرِّي، أبو العلاء، لزوم ما لا يلزم، ج٢، ص١٨٢.
(٤٩) المعرِّي، أبو العلاء، لزوم ما لا يلزم، ج١، ص١٠٢.
(٥٠) المعرِّي، أبو العلاء، لزوم ما لا يلزم، ج١، ص٢١١.
(٥١) المعرِّي، أبو العلاء، لزوم ما لا يلزم، ج٢، ص٩٠.
(٥٢) السقا، مصطفى وآخرون، (١٩٩٤)، تعريف القدماء بأبي العلاء، إشراف الدكتور طه حسين، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط١، ص٥.
(٥٣) المعرِّي، أبو العلاء، لزوم ما لا يلزم، ج١، ص٨٠.
(٥٤) المعرِّي، أبو العلاء، لزوم ما لا يلزم، ج١، ص١٧٣.
(٥٥) المعرِّي، أبو العلاء، لزوم ما لا يلزم، ج١، ص١٧٣.
(٥٦) المعرِّي، أبو العلاء، لزوم ما لا يلزم، ج١، ص٢٤١.
(٥٧) المعرِّي، أبو العلاء، لزوم ما لا يلزم، ج١، ص٢٠٧.
(٥٨) العظيم، صادق جلال، (١٩٦٨)، في الحب والحب العذري، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط١، ص١٠١.
(٥٩) السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر، (١٩٨٧)، مفتاح العلوم، ضبطه وحققه وعلق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ص٣٦٥.
(٦٠) المعرِّي، أبو العلاء، لزوم ما يلزم، ج١، ص٤٧.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم، سورة ابراهيم.

ابن الأثير، أبو الحسن علي. (١٩٩٧). **الكامل في التاريخ**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت: دار الكتاب العربي، لبنان.

أدهم، علي. (١٩٧١). **بين الفلسفة والأدب**، القاهرة: دار المعارف، مصر.

اسماعيل، عز الدين. (١٩٩٤). **في الشعر العباسي**، القاهرة: المكتبة الأكاديمية، مصر.

الأطرقجي، واجدة مجيد. (٢٠٠٢). **المرأة في أدب العصر العباسي**، العين: مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة.

أمين، أحمد. (١٩٥٦). **ظهر الإسلام**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.

الباخرزي، أبي الطيب علي بن الحسين. (١٩٩٣). **دمية القصر وعصرة أهل العصر**، تحقيق: محمَّد التونجي، بيروت: دار الجيل، لبنان.

بدوي، عبدالرحمن. (١٩٨٠). **التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية**، ط٤ بيروت: دار الفكر العربي، لبنان.

البنا، حسن عز الدين. (١٩٩٨). **شعرية الحرب عند العرب قبل الإسلام**، ط٢، الرياض: دار المفردات للنشر والتوزيع، السعودية.

تيمور، أحمد باشا. (١٩٧١م). **ابو العلاء المعرِّي نسبه وأخباره –شعره ومعتقده**، ط٢، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، مصر.

الثعالبي، أبو منصور عبد الملك. (١٩٩٨). **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، تحقيق: مفيد محمَّد قمحية، القاهرة: دار الكتب العلمية، مصر.

الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر. (١٤٢٣هـ). **البيان والتبيين**، تحقيق: حسن السندوبي، بيروت: دار مكتبة الهلال، لبنان.

الجاحظ، عمر بن بحر. (١٩٨٢). **مجموعة رسائل الجاحظ**، تحقيق: محمَّد طه الحاجري، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، لبنان.

جديتاوي، هيثم محمَّد.(٢٠١١). **المفارقة في شعر أبي العلاء المعرِّي**، إربد: مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية للنشر والتوزيع، الأردن.

جياووك، مصطفى عبد اللطيف. (٢٠١١). **المرأة في الجزيرة العربية في القرن الأول الهجري**، القاهرة: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، مصر.

حسن، احمد. (١٩٦٨). **الإسلام والمرأة**، ط٣، القاهرة: دار الشرق الأوسط للنشر، مصر.

حسين، طه. (١٩٥١). **تجديد ذكرى أبي العلاء**، ط٤، القاهرة: دار المعارف، مصر.

حسين، طه. (١٩٥١). **مع أبي العلاء في سجنه**، القاهرة: دار المعارف، مصر.

الحكيم، سعاد. (٢٠٠٠). **أبو العلاء المعرِّي بين بحر الشعر ويابسة الناس**، بيروت: دار الفكر العربي، الطبعة الأولى.

أبو حلتم، نبيل. (٢٠١٣). **الشعر في القرن الرابع الهجري**، عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، الاردن.

الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله. (١٩٩٣). **معجم الأدباء: ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار الغرب الإسلامي، لبنان.

الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي. (٢٠٠٢)، **تاريخ بغداد**، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي، لبنان.

خليفة، يوسف. (١٩٨١). **تاريخ الشعر في العصر العباسي**، القاهرة: دار الكتب المصرية، مصر.

الخولي، امين. (١٩٤٥). **رأي في أبي العلاء**، القاهرة: مكتبة مصر، مصر.

الذهبي، شمس الدين محمَّد. (١٩٨٤). **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الارنؤوط ومحمَّد نعيم العرقسوسي، بيروت: مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، لبنان.

أبو ذياب، خليل إبراهيم. (١٩٩٦). **النزعة الفكرية في اللزوميات**، القاهرة: الشركة العربية للنشر والتوزيع، مصر.

رزق، صلاح. (٢٠٠٦). **نثر أبي العلاء المعرِّي دراسة فنية**، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر، مصر.

الرشيد، عبدالله بن سليم. (٢٠٠٧). اللزوميات في الشعر العربي الحديث الرؤيا والتشكيل، **مجلة جامعة أم القرى للعلوم الشرعية واللغة العربية وآدابها**، مجلد ١٩، العدد ٤١، حزيران، ٢٠٠٧.

زايد، عبدالقادر. (١٩٨٦). **قضايا العصر في أدب أبي العلاء المعرِّي**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.
زيدان، جورجي. (١٩٩٧). **تاريخ التمدُّن الإسلامي**، القاهرة: دار المعارف، مصر.
ابن الساعي، تاج الدين أبي طالب علي بن أنجب. (١٩٦٠م). **نساء الخلفاء (جهات الأئمة والخلفاء من الحرائر والإيماء)**، تحقيق: مصطفى جواد، القاهرة: دار المعارف، مصر.
السقا، مصطفى. (١٩٩٤). **عبد الرحيم محمود**، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، لبنان.
السقا، مصطفى وآخرون. (١٩٩٤). **تعريف القدماء بأبي العلاء المعرِّي**، إشراف الدكتور: طه حسين، القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، مصر.
السكاكي، أبو يعقوب يوسف. (١٩٨٧). **مفتاح العلوم**، تحقيق: نعيم زرزور، ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، لبنان.
سلوم، داود، انعام. (٢٠٠٦). **أثر المرأة في الأدب العربي**، عمان: دار الضياء للنشر والتوزيع، الاردن.
السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (١٩٦٤). **بغية الدوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق: محمَّد ابو الفضل ابراهيم، صيدا: المكتبة العصرية، لبنان.
السيوفي، عصام. (١٩٩١). **المرأة في الأدب الجاهلي**، بيروت: دار الفكر اللبناني، لبنان.
شامي، يحيى. (٢٠٠٢). **أبو العلاء المعرِّي من سقط الزند إلى اللزوميات**، بيروت: دار الفكر العربي، لبنان.
شرارة، عبد اللطيف. (١٩٩٠). **أبو العلاء المعرِّي (دراسة ومختارات)**، بيروت: الشركة العالمية للكتاب ش م ل ،لبنان.
الصفدي، صلاح الدين خليل. (١٩٩٧). **الوافي بالوفيات**، تحقيق: احسان عباس، بيروت: مطبعة دار صادر، لبنان.
ضيف، شوقي. (١١١٩). **عصر الدول والإمارات**، القاهرة: دار المعارف، مصر.
ضيف، شوقي. (١٩٨٦). **العصر العباسي الثاني**، القاهرة: دار المعارف ، مصر.
عبدالرحمن، ابراهيم. (١٩٨١). التعبيرالأسطوري في الشعر الجاهلي، **مجلة فضول**، ع(٣)١، الهيئة العامة، القاهرة، مصر.
ابن العديم، عمر بن أحمد. (١٩٩٦م). **زبدة الحلب في تاريخ حلب**، تحقيق: خليل المنصور، القاهرة: دار الكتب العلمية، مصر.
العظم، صادف جلال. (١٩٦٨). **في الحب والحب العذري**، بيروت: دار النهضة العربية، لبنان.
العقاد، عباس محمود. (١٩٨٧). **مطالعات في الكتب والحياة**، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر.
عليمات، يوسف. (٢٠١٤). **النسق الثقافي وقراءة ثقافية في أنساق الشعر العربي القديم**، عمان: وزارة الثقافة-مطبعة السفير، الأردن.
عمر. (١٩٦٠). **أبو العلاء المعرِّي الشَّاعر الحكيم**، بيروت: منشورات دار الشرق الجديد، لبنان.
أبو الفداء، عماد الدين اسماعيل. (١٨٥٠). **تقديم البلدان**، تحقيق: المستشرق رينود، بيروت: دار صادر، لبنان.
كروكشانك، جون. (١٩٧٣). **ألبير كامي وأدب التمرد**، ترجمة: بلال العشري، القاهرة: الهيئة العامة، مصر.
متز، آدم. (١٩٩٩). **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام**، ترجمة : د. عبدالهادي أبو ريدة، بيروت: دار الكتاب العربي، لبنان.
المعرِّي، أبو العلاء احمد بن عبدالله. (١٩٥٦). **سقط الزند**، تحقيق: مصطفى فروخ،
المعرِّي، أبو العلاء أحمد بن عبدالله. (١٩٧٧). **الفصول والغايات**، تحقيق: محمود حسن زناتي، ط٢، القاهرة: الهيئة العامة، مصر.
المعرِّي، أبو العلاء أحمد بن عبدالله. (١٩٩٢). **لزوم ما لا يلزم**، تحقيق: كمال اليازجي، بيروت: دار الجيل، لبنان.
مندور، محمَّد. (١٩٦٦). **النقد المنهجي عند العرب**، القاهرة: دار المعارف، مصر.
نجيب سرور. (٢٠٠١). **تحت عباءة أبي العلاء المعرِّي**، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر.
النشارة علي. (١٩٩٦). **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام**، ط٧، القاهرة: دار المعارف، مصر.
نصار، حسين. (١٩٨٨). **المعجم العربي نشأته وتطوره**، القاهرة: مكتبة مصر.
اليازجي، كمال. (١٩٨٨). **أبو العلاء وأزومياته** ، بيروت: دار الجيل، لبنان.